التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 152 السنة الثامنة عشر - يوليو 2020

أحمد البوسطة .. وداعًا

تصوير: عبدالله الغانم

موقفنا

«كورونا» والعولمة الهشّة

ليس قليلاً عدد من كانوا يموتون يومياً في مختلف بلدان العالم قبل انتشار فيروس كورونا أو ما سبقه من فيروسات قاتلة، لأسباب شتى بينها: التقدّم في العمر والأمراض المزمنة والسرطانات وما إليها. ورغم كثرة من ماتوا ولا يزالون يموتون كل يوم منذ أن أعلن عن اكتشاف كورونا، لكنه لا يزيد عن عدد حالات الوفاة قبله، في مختلف البلدان، خاصة منها كثيرة السكان، أو التي تعاني من الفقر وتدّني الخدمات الطبية. فضلاً عن ضحايا الحروب المدمرة، أهلية كانت أو بين الدول، وضحايا المجاعات والقحط والكوارث الطبيعية كالفيضانات والحرائق وغيرها، ومن المحرومين من العناية الصحية الضرورية، ومن ظروف المعيشة اللائقة، ومتطلبات الحياة الكريمة.

ليست الغاية التقليل من خطر «كورونا» الذي يجتاح البلدان، بلدًا وراء آخر، ويستنفر العالم كله لمواجهته، وتعمل المختبرات ليل نهار للوصول إلى لقاح يمنعه وعلاجات تشفي منه، ولكن الماكنة الإعلامية العالمية، التي تغطي أخبار الجائحة في كل مكان، وتقدّم بيانات منتظمة عن أعداد المصابين والمتوفين جراءها، تكاد تصمت عن كل المشاكل الأخرى التي تعاني منها البشرية، بسبب صور التمييز الطبقي والعرقي والديني وغيرها، وبسبب جشع الرأسمال خاصة في صورته النيوليبرالية.

ما لا يحظى بالتغطية الكافية هو ما كشف عنه تفشي «كورونا» من عاهات تنخر عالم البشر. بعضها ظاهر لا يتوارى أبداً، وبعضها كامن ينتظر الفرصة فقط ليطل برأسه، كما لا يجري الوقوف عند ما أظهره تفشي الفيروس من «هشاشة» العولمة، رغم أنها، في وجهها الاقتصادي خاصة، بلغت مديات واسعة، ولكنها اليوم تتعرض لاختبار حقيقي حول مدى صلابتها وقدرتها على تحدي الصعاب الماثلة، لا في تحقيق الأرباح والمنافع لأساطين المال والسلطة، وإنما في تحقيق حياة كريمة للبشر لن تتأمن بالتقسيم الدولي الراهن للعمل، كأن الجائحة سلطت الضوء على ما لم يكن بحاجة لبرهان.

حتى الآن يجري الحديث عن فقدان الأسواق العالمية لمئات المليارات من الدولارات، وهبوط التعاملات في البورصات، وانكماش حركة السياحة والسفر. وبمقدار ما أظهر «كورونا» من جهة إلى أي مقدار هو العالم قرية كونية بالفعل، فإنه أظهر أيضًا أن هذه «الكونية» ترتد اليوم إلى أكثر صور الأنانية والانغلاق على الذات، وإزدراء المعاناة المشتركة للبشر على تعدد انتماءاتهم ولغاتهم ومعتقداتهم.

التقدمي

لماذا ندعو لحوار وطني شامل؟ 06

درويش يُجرّد بركات من بريقه 11

حدث في ٦٥ 34

التقدمي: لا للمساس بالعمالة الوطنية بعد انتهاء «الدعم الحكومي»

عبّر التقدمي عن قلقه مما يشكل مساسًا بوضع العمالة الوطنية خاصة بعد الانتهاء من فترة الدعم الحكومي المقدم للأجور، وما يتداول على إثر ذلك بجانب الوضع الاقتصادي من تسريحات مرتقبة في العديد من المؤسسات والشركات، داعيًا الدولة إلى قرارات شجاعة تحفظ الاستقرار للعمالة الوطنية وتتصدى لكل الاختلالات والتشوهات الراهنة في سوق العمل، كما دعا التقدمي الاتحادين العماليين والنقابات العمالية إلى حراك نوعي يصب في خدمة هذا الهدف.

وجدد المكتب السياسي للمنبر التقدمي في اجتماعه السبت (6 يونيو 2020) برئاسة الأمين العام خليل يوسف، حرصه على تعزيز مسيرة الحركة النقابية وشدد على ضرورة تذليل المعوقات التي تثقل كاهل هذه الحركة للقيام بدورها المطلوب في المرحلة المقبلة التي يتوقع أن تشهد تحديات استثنائية تفرض نفسها على سوق العمل والاقتصاد ضمن جملة تداعيات لجائحة كورونا، وهو الأمر الذي يتطلب وعياً كبيرًا بمقتضيات المرحلة الراهنة والمقبلة.

وتوقف المكتب السياسي مطولاً أمام الشأن الداخلي وفي المقدمة منه الشأن النقابي، وحالة الإرباك والتشظي التي تشهدها العديد من منظمات العمل النقابي، ووضع الاتحادين العماليين، آملاً أن يعود العمل النقابي إلى مساره وموقعه الصحيح ووحدته العمالية.

رفض العنصرية

كما أكدّ التقدمي رفضه لخطابات الكراهية والعنصرية والتعصب ضد الأجانب التي تفشت عبر وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها من أشكال التواصل في العديد من الدول ومنها البحرين، مؤكدًا أن المطالبة بالتصدي لهذه الخطابات لا يعني المطالبة بتقييد حرية الرأي أو حظرها، وإنما يعني اتخاذ التدابير اللازمة لمنع خطاب الكراهية ومنع تحوله إلى ما هو أخطر من ذلك، وفي السياق ذاته أعرب المكتب السياسي للتقدمي رفضه محاولات البعض تسخير وسائل التواصل للإضرار بالعلاقات بين الشعوب العربية من خلال عبارات فالتة وكلمات طائشة لا تخدم سوى الاضرار بهذه العلاقات، لمآرب شتى مما يتوجب معه منع الطريق على هذه المحاولات ومنع استمرارها.

الحراك الأمريكي

وفي جانب آخر، تناول المكتب السياسي للتقدمي المستجدات السياسية على الساحة الإقليمية والدولية، ومن ضمنها التحدي الذي يواجهه الشعب الفلسطيني من تكالب قوى الاحتلال لضم المزيد من الأراضي الفلسطينية المحتلة، مؤكدًا على أهمية وحدة الشعب الفلسطيني وتوحيد المواقف السياسية بين فصائله، مجددًا دعوته إلى موقف عربي واضح وحازم وداعم للقضية الفلسطينية ومضاداً لمحاولات تصفيتها. وكذلك تطرق المكتب السياسي إلى التطورات التي تشهدها الولايات المتحدة الأمريكية من حراك جماهيري امتد إلى العديد من دول العالم ضد العنصرية، على خلفية مقتل المواطن الأمريكي جورج فلويد.

رحبا بإطلاق سراح الحقوقي نبيل رجب

القومي والتقدمي يدعوان لإطلاق مشروع مصالحة سياسية

عبّر المنبر التقدمي والتجمع القومي عن ترحيبهما بإطلاق سراح الحقوقي نبيل رجب وذلك في إطار قانون العقوبات البديلة، حيث تأتي هذه الخطوة استكمالاً للمرسوم الملكي السامي الذي صدر في مارس الماضي بالعفو وتنفيذ العقوبات البديلة عن 1486 محكوماً، والذي يجسد استجابة نبيلة لدواعي الظروف الراهنة التي تمر بها البلاد، وهو الأمر الذي يشيع دون شك مشاعر الارتياح والفرح في كافة الأوساط الشعبية والسياسية.

وفيما جددت الجمعيتان إشادتهما بكل الإجراءات التي اتخذتها الدولة للتصدي لتفشي وباء كورونا، والجهود الوطنية العالية التي تبذلها كافة الكوادر المعنية وخاصة الكوادر الطبية والصحية، وحيتا الروح الوطنية الجامعة لكافة فئات المجتمع في الالتفاف حول تلك الإجراءات ودعمها، وروح التضامن الاجتماعي التي تجلت في الكثير من الصور والمواقف الرائعة والمبدعة والمسؤولة، فإنهما أكدتا على الحاجة الملحة إلى إضفاء المزيد من التضامن والوحدة بين أبناء الشعب وتكاتفه ودعمه لكافة تلك الإجراءات والوقوف صفاً واحداً لتجاوز المحنة الراهنة.

وهذا يستدعي من بين أمور كثيرة أخرى المبادرة إلى مواصلة الخطوات الإنفراجية وإطلاق سراح السجناء من معتقلي الرأي والحقوقيين وتوسيع الحريات العامة والحريات السياسية وحرية الرأي، وإطلاق مشروع يطوي صفحة التداعيات السياسية والأمنية الخطيرة التي مرّت بها البلاد خلال السنوات الماضية.

دعا إلى شفافية توزيع حزمة الدعم المالية

التقدمي: بوادر خصخصة الـ«كهرماء» لم تراع دروس «كورونا» الاقتصادية

دعا المنبر التقدمي إلى شفافية إعلان تفاصيل آليات توزيع الحزمة المالية المخصصة لمواجهة تداعيات آزمة جائحة كورونا، وتبيان مقدار الحصص الموجهة والأسباب التي يتم صرف مبالغ الدعم على أساسها.

جاء ذلك في بيان للمكتب السياسي إثر اجتماعه الدوري الاعتيادي يوم السبت 20 يونيو 2020، استهله بوقفة حداد على رحيل عضو التقدمي الصحفي أحمد البوسطة، حيث أشاد الأمين العام خليل يوسف بمناقب الفقيد ومسيرته ودوره النضالي، كما تحدث عن عطاءاته ومدى حرص الراحل على الاضطلاع بالمهام التي أوكلت له.

كما حذّر التقدمي من مغبة التوجه الرسمي لخصخصة بعض المرافق والخدمات العامة، والتي كان آخرها التعديلات التي طالت هيكلة هيئة الكهرباء والماء واستثنائها قطاع الإنتاج، واعتبر البيان بأن هذه السياسات لا تراعي الضوابط والمكتسبات الاجتماعية، وغابت عنها دروس وتجارب التطورات الأخيرة الناجمة عن الأزمة الاقتصادية التي تسارعت وتيرتها في ظل جائحة كورونا (كوفيد-19)، ودعا التقدمي إلى مراجعة حصيفة لهذا التوجه، وحثّ كل القوى الخيّرة والفصائل الوطنية للوقوف ضد ما يستهدف جيوب الفقراء ومحدودي الدخل والكادحين من أبناء البلاد.

ورحب البيان بالدعوة التي طرحها عضو كتلة "تقدّم" البرلمانية النائب عبدالنبي سلمان بعقد منتدى وطني لمواجهة التحديات القائمة التي أفرزتها أزمة جائحة كورونا، ودعا كل الأطراف والجهات ذات العلاقة إلى التجاوب مع هذه الدعوة التي من شأنها أن تسهم في تعزيز الوحدة الوطنية والتوافق بين مكونات المجتمع واشراكها في وضع رؤية وطنية متكاملة.

وأكدّ البيان على أهمية أن تضطلع الاتحادات العمالية بمهامها لتكون قادرة على التصدي لكل من يسعى للنيل من المكتسبات العمالية خاصة في ظل الظروف الراهنة التي تلقي بضلالها على سوق العمل. واستغرب "التقدمي" الاقتراحات الغريبة من بعض النواب والتي تمس المكتسبات النقابية، ومنها الاقتراح بإلغاء التفرغ النقابي.

وعلى الصعيد الدولي، ندد "التقدمي" بقانون قيصر سيئ الصيت ضد سوريا، الذي يجسد الطبيعة الامبريالية في استهداف الشعوب وإحكام قبضتها عليها من أجل تمرير وبلورة مشاريعها في الهيمنة والسيطرة الاقتصادية والسياسية، وخدمة المصالح الإسرائيلية وفرض المشروع الصهيوني على الدول العربية دون مبالاة بالأثر الذي سيخلفه هذا القانون على الشعبين السوري واللبناني.

بمناسبة يوم البيئة العالمي

التقدمي: الحدّ من تلوث المصانع ومعالجة تلوث الهواء في المعامير

شدّد المنبر التقدمي على الأهمية البالغة لوضع المشكلات البيئية في مملكة البحرين في صدارة اهتمامات الدولة، وتسريع الخطى لوضع منظومة كاملة ومتكاملة من التشريعات والنظم والقرارات التي تصب في خدمة هذا الهدف وتدعم الجهود التي يبذلها في هذا الصدد المجلس الأعلى للبيئة، ومنها الملفات التي بحثها مجلس الوزراء مؤخراً بدءاً بالوضع البيئي بمنطقة المعامير والتحقق من مستويات جودة الهواء فيها والمناطق المجاورة، مع وضع اشتراطات للحد من تلوث المصانع والمنشآت الصناعية، فتحقيق هدف توفير بيئة آمنة ومستدامة يتطلب ترسيخ الشراكة المجتمعية الفاعلة بين الجهات الرسمية المعنية ومؤسسات المجتمع المدني.

وكانت لجنة البيئة في التقدمي قد أصدرت بياناً بمناسبة الخامس من يونيو الذي يصادف اليوم العالمي للبيئة حيث اختارت ألمم المتحدة هذا العام شعار "حان وقت الطبيعة" لتعزيز الوعي العالمي بالتحديات البيئية. وأشار التقدمي إلى أن الظرف الاستثنائي الذي يمر به العالم بسبب جائحة كورونا كوفيد-19 وتداعياتها الشديدة الوطأة على مختلف دول وشعوب العالم، إلا أن الفرصة مواتيه لتسليط الضوء على التحديات البيئية الراهنة وخاصة تلك التي أفرزتها تداعيات الأزمة الصحية الراهنة.

وأكدّ البيان على أن التحسن البيئي الذي حدث بالرغم من جائحة كورونا يفرض التأكيد على أهمية المسؤولية المضاعفة للمؤسسات والشركات والمنشآت الصناعية في المحافظة على البيئة النظيفة المستدامة، دون التقليل من مسؤولية كل قوى المجتمع البحريني واعتبار هذه مسؤولية يلتزم بها الجميع من مواطنين ومقيمين من أجل استمرار التحسن البيئي وتقليل التلوث بأنواعه.

رفض استغلال "كورونا" لاستهداف العمال

التقدمي: مراجعة سياسات التشغيل لفرض الاعتبار المستحق للبحرنة

ندد المنبر التقدمي باتخاذ أزمة كورونا الحالية شماعة لاستهداف العمالة الوطنية عبر التهديد بالفصل أو التسريح أو الانتقاص من حقوقهم بأي شكل كان، مجدداً في الوقت ذاته تضامنه ودعمه للجهود المبذولة في الحد من الآثار السلبية لجائحة كورنا كوفيد-19 ومحاصرة تلك التداعيات والسيطرة على انتشارها على مختلف الأصعدة.

جاء بيان التقدمي على خلفية الأنباء المتواترة بخصوص إنهاء خدمات بعض العاملين في القطاع إثر تداعيات أزمة كورنا كوفيد-19 وقرب انقضاء فترة الدعم الحكومي المقدم لمؤسسات القطاع الخاص بنهاية يونيو.

وحذّر البيان من توجه بعض أصحاب الأعمال والشركات الكبيرة والمتوسطة للتخلص من أعداد كبيرة من العمالة الوطنية، أو الانتقاص من حقوقها، مبدين كامل القلق مما جرى تداوله في الصحف المحلية والعديد من مواقع التواصل الاجتماعي في الأيام الماضية من توجه بعض الشركات للتخلص من عمالتها الوطنية بنسبة تتجاوز 25٪، إلى جانب تلقي الكثير من العمال البحرينيين إخطارات من إدارات شركاتهم بالاستغناء عن خدماتهم بنهاية شهر يونيو 2020 بعد انتهاء فترة الدعم الحكومي للأجور بذرائع إعادة الهيكلة، أو تقليص الأعمال، في الوقت الذي سارعت شركات أخرى إلى فرض إجازات إجبارية دون أجر ودون مهلة محددة تمهيداً للفصل التعسفي.

وشدّد "التقدمي" على أنه في الوقت الذي يدافع فيه دون هوادة عن العمالة الوطنية، ويدعو إلى فرض الاعتبار المستحق واللازم للبحرنة في سوق العمل، ويرفض استغلال تداعيات جائحة كورونا للتفريط أو الاستهانة بالعمالة الوطنية، فإنه في الوقت نفسه يرفض رفضاً جازماً التلاعب بحقوق ومصالح العمالة الأجنبية الوافدة، وما نشاهده اليوم من سوء أوضاع هذه العمالة بدءاً من أوضاع سكنية متردية، وغياب لمعايير الصحة والسلامة، وتأخر في دفع رواتبهم، واستهانة بحقوقهم، وغير ذلك من استغلال خاصة في ظل ظروف جائحة كورونا، وهو الأمر المرفوض إنسانياً وحقوقياً وعمالياً، وهذا وضع أفرزته سياسات تشغيل خاطئة، ومصالح من تاجروا في عرق وجهد هؤلاء العمال، وقد سلطت الجائحة على أوضاع وسياسات آن أن تكون موضع مراجعة جادة وجريئة من كل الأطراف المعنية وفي مقدمتها مجلس النواب.

مطالبة بعدم المساس بالتأمينات واحتياطي الأجيال ورفض التسريحات

قبيل اللقاء المشترك بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، أدلى عضو «تقدّم» النائب يوسف زينل بتصريح أشاد فيه زينل باللقاء الذي يؤصل روح المشاركة والتعاون بين السلطتين، مؤكداً على الحاجة لطرح حلول واقعية من أجل إصلاح سوق العمل، داعياً في هذا الصدد لتجميد تصريح العمل المرن.

وقال زينل: «نرفض أي اقتراب من صناديق التأمينات وحساب احتياطي الأجيال، والتسريحات يجب أن تطال البحرينيين. وتابع: من المهم أيضاً أن تنأى الحكومة بالخدمات الصحية والتعليمية والإسكانية عن أية تداعيات أو تقشف، يشمل ذلك المشاريع الإسكانية وإنجازها حسب توجيهات جلالة الملك، منبهاً إلى المراكمة على ما أنجز حتى لحلحلة الملف الإسكاني والحيلولة دون أي تراجع بشأن ذلك.

كما شدّد زينل على أهمية التريث في قرار عودة الوضع إلى طبيعته، ويشمل ذلك العودة إلى الأعمال والمدارس ومزاولة الأنشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية، مضيفاً: التدرج خيار أنسب، وسبيل لتخفيف وطأة الأزمة في بعدها الاقتصادي دون الاخلال بالسيطرة على معدل الإصابات والوفيات جراء انتشار فيروس كورونا.

مطرقة البرلمان

لماذا ندعو لحوار وطني شامل؟!

عبدالنبي سلمان

لم يكن الأمر مستغربًا لدى شرائح واسعة ومهمة من المجتمع البحريني، أن تأتي دعوتنا المخلصة منتصف شهر يونيو المنصرم لحوار، أو منتدى وطني موسع، لبحث تحديات ما بعد جائحة كورونا، وهي دعوة فرضتها جملة من المعطيات التي سنتحدث عنها هنا بكثير من التكثيف والاختصار نظرًا لضيق المساحة، تاركين للجهات المعنية بالقرارات الاقتصادية والاجتماعية، والنخب الاقتصادية والتجارية والمجتمعية، التي رحبت بشكل واسع بمبادرتنا هذه، أن تتفاعل مع تلك الدعوة التي نجد أن توقيتها علاوة على أهميتها لا يمكن أن يغيبا عن بال واهتمامات من يعنيهم مستقبل الوطن.

وبالفعل فإننا نرى ان التعاطي مع مرحلة ما بعد جائحة كورونا وما خلفته وتخلفه من تراجعات مرعبة لجميع دول العالم دون استثناء، وإن بشكل متفاوت، يزكي أهمية الدعوة لحوار وطني شامل حول مختلف القضايا المفصلية التي تشكل في مجموعها ملفات سيحين استحقاقها عاجلا أم آجلا، وهذه المرحلة ستكون بلا ريب مختلفة بكل المقاييس عما سبقها من مراحل وتحديات، فالعالم مقبل، بحسب التوقعات المتاحة، على تحولات كبرى ونوعية، اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا، وستتبعها حتمًا ارتدادات لا نعلم حتى اللحظة مدى سطوتها وتأثيراتها، وبكل تأكيد هناك تحولات جارفة احدثتها ثورة المعلومات والتكنولوجيا، لن تقتصر كما يعتقد البعض فقط على ما أحدثته وسائل التواصل الاجتماعي من وفرة في المعلومات وسرعة تداولها واقتحامها لأبسط خصوصيات وأسرار الدول والأفراد والمجتمعات التي لم تعد محصنة كما كانت من قبل.

لذلك، ليس ترفًا أن تأتي دعوتنا لحوار وطني شامل يناقش مختلف القضايا ويرسم بشكل جماعي معالم توجهاتنا المفترضة لعالم ما بعد كورونا، خاصة وأننا اضطررنا، وباعتراف اصحاب القرار إلى التخلي مرغمين عن كل ما وضعناه من ميزانيات وخطط وبرامج ورؤى، وحتى لا نترك لوطننا سمة الضياع والتخلف عن مواكبة الركب العالمي، فإننا اصبحنا مطالبين بشدة للإذعان لتعاط مختلف في الكيفية والمضمون، فلم تعد لفوقية القرارات من جدوى ومكان للنجاح، ولم يعد لدى حكومات وبرلمانات ومؤسسات المجتمع القدرة منفردة على صياغة وفهم المستقبل، بصورة تحقق النجاحات المأمولة، وأضحى العلم ومعايير القياس وتسخير العقول والطاقات الكامنة في المجتمع تزكي جميعها نجاعة الاعتماد على روح الفريق والعمل الجماعي والتشاركي في صياغة قرارات الأمم قبل الأفراد.

وفي هذا الإطار، فإن نظرة سريعة لما سجلته البحرين خلال الفترة القليلة الماضية من نجاحات متميزة لفريق البحرين الوطني بقيادة سمو ولي العهد في التعاطي مع جائحة كورونا، بمشاركة وتلاحم مختلف فئات وشرائح المجتمع، واسترعت اهتمام العديد من دول العالم ومنظماته، حين سخرت الدولة بكل مكوناتها كافة طاقاتها المالية والاقتصادية والاجتماعية والبشرية للتصدي لهذا الوباء، ولما يمكن ان ينتج عنه من تداعيات، تؤكد لنا جميعا مغزى وأهمية ان يكون لنا فريق وطني، لا يجب ان تنتهي مهمته مع انتهاء فترة الجائحة التي نتمنى ألا تطول، لكي نبني عليها نحو المستقبل المشرق الذي نتمناه لبلادنا وشعبنا، ونحن نحاول جاهدين أن نعبر جملة من التحديات التي نراها ونتوقعها قادمة إلينا سريعا.

وعلينا أن نقول بوضوح إن المهمات التي تنتظرنا قريبًا ومستقبلًا لن تكون سهلة أبدًا ، بل هي شائكة ومعقدة للغاية، وعلينا أن نعرف كيفية التعاطي معها بعلم وموضوعية وواقعية بعيدًا عما اعتادت العديد من جهات القرار عليه في العمل بشكل منفرد وغير مدروس في أحايين كثيرة، وذلك يحتم ضرورة الإهتداء لفكر مختلف وتعاط يرقى لحجم تلك التحديات، فلا أحد بإمكانه اليوم أن يتوقع حجم ونوعية التحولات العالمية من حولنا، أو أن يتوقع مآلات اسعار النفط على المديين المتوسط والقريب، أو التوجهات الاقتصادية القادمة لأسواقنا وانعكاساتها على سوق العمل المشوه أصلا في البحرين، وما هي وظائف المستقبل وطبيعة الأسواق والفرص الاستثمارية القادمة، وانعكاساتها على مؤشرات البطالة وسوق العمل وأنظمة التقاعد، وكيف سنتعامل مع ما خلفته عجوزات الميزانية والدين العام من تشوهات اجتماعية وهيكلية، وطبيعة الهيكلة المنتظرة لاقتصادنا الوطني الذي يشكل علينا حتى اللحظة تحديد ملامحه بوضوح بعد سنوات من التخبط وسوء الادارة والفساد، وهذا الأخير كيف سيصبح بامكاننا كدولة ومجتمع مواجهته بصدق في ظل اعلان البحرين رسميا عن تقليص النفقات العامة بنسبة 30٪ ، وربما تستبعه تخفيضات أخرى قادمة وربما ضرائب ومعالجات مؤلمة اقتصاديا واجتماعيا..

اسئلة نطرحها برسم الجميع لنحاول الاجابة عليها بشكل جماعي، ليس إمعانا في المزيد من التشاؤم وانما سعيا منا لخلق رؤية مجتمعية تشاركية تسهم ايجابا في صياغة ورسم معالم المستقبل وما سنواجهه من تحديات ومصاعب جمة.. تلك وغيرها مهمات أطرحها بكل تواضع أمام ما اقترحته حول الحوار الوطني الشامل، حتى نستطيع معًا رسم مستقبل وطننا بروح جماعية وتشاركية مختلفة.

طالبت بقية الشركات للاقتداء بهما

«تقدّم» ترحب بتثبيت أولوية العمالة الوطنية في «بابكو» و«فولاذ»

رحبت كتلة تقدّم البرلمانية بما اكدته شركة نفط البحرين "بابكو"على لسان الوكيل المساعد للعمل بوزارة العمل والتنمية الاجتماعية احمد الحايكي، من أن إعلانها عن تسريح اعداد من عمالتها لن يطال العمالة البحرينية، وهي خطوة وطنية رائدة ومسؤولة، يجب أن تحتذى من جميع الشركات والمؤسسات الكبرى والصغرى على حد سواء، خاصة ان خطوة مماثلة ومشكورة سبق أن اتخذتها أيضاً شركة وطنية أخرى هي "شركة فولاذ" نحو تسريح عمالتها الوافدة والإبقاء على عمالتها الوطنية بحسب ما أكدّته مصادر من داخل نقابة فولاذ ذاتها.

وقالت الكتلة في بيان لها بهذا الخصوص: "إننا إذ نحيي تلك الخطوات الحكيمة الوطنية والمدروسة التي اتخذتها الشركتان، بابكو وفولاذ للحفاظ على عمالتها من البحرينيين، اسهاما منهما في تحمل المسؤلية الوطنية مع جهات القرار في الدولة حفاظا على مصالح الأفراد والأسر والمجتمع، نأمل ان تحذو كل الشركات في البحرين حذو هاتين الشركتين الوطنيتين، بعدم الأقدام تحت أي ظرف بالمساس بعمالتنا الوطنية، من أجل عبور ظرفنا الصعب الراهن بأقل الخسائر الممكنة، في ظل ما نعيشه من ظروف استثنائية تتطلب اليقظة والحذر وتحمل المسؤلية الوطنية لحماية أمننا المجتمع ومصالح مواطنينا.

وأشارت تقدّم إلى تلقيها باستمرار شكاوى نقابية وعمالية تجاه بعض الشركات الكبرى الأخرى، التي تتحين الفرص في عمالتها الوطنية وتتهددها بالتسريح وقطع الأرزاق، وقد أقدم بعضها بالفعل على فصل عدد محدود لحد الآن من العاملين البحرينيين لديهم، محذرة من مخاطر المضي في تلك الخطوات والسياسات غير المسؤولة.

وناشدت الكتلة وزارة العمل أن تكون مبادرة لوقف تلك السياسات والإعلان بقوة عن وقوفها إلى جانب عمالتنا الوطنية، بأن تكون أكثر حزما وتشددا تجاه نوايا او اقدام اي من الشركات على فصل أبناء الوطن، خاصة وأن الدولة قد وقفت مشكورة ولا زالت مع غالبية الشركات المتضررة او المتوقع تضررها، وقد ساعد مجلس النواب بتسهيل مهمة الدولة في الاعتماد والاستفادة من مدخرات صندوق التعطل لحماية مصالح العاملين البحرينيين والشركات لضمان إستمرار ديمومة وفاعلية الاقتصاد الوطني.

عبدالنبي سلمان يدعو لإطلاق منتدى وطني لوضع استراتيجية لما بعد الجائحة

دعا عضو كتلة "تقدّم" النائب الأول لرئيس مجلس النواب عبدالنبي سلمان إلى ضرورة التفكير بشكل جدي في كيفية التعاطي مع مجمل التداعيات والانعكاسات الاقتصادية والمعيشية والاجتماعية التي ستعقب مرحلة التغلب على جائحة كورونا «كوفيد-19». وذلك من خلال إطلاق منتدى وطني اقتصادي واجتماعي لوضع استراتيجية متكاملة لما بعد الأزمة.

وفي حوار مع صحيفة "أخبار الخليج" وجه سلمان دعوته إلى الدولة والقيادة السياسية، وبشكل خاص الحكومة أن تبادر للبدء في التحضير باكرا لمنتدى وطني موسع وشامل لمناقشة جملة المتغيرات والتحديات القادمة في مرحلة ما بعد السيطرة على وباء كورونا «كوفيد-19». تشارك فيه الحكومة والسلطة التشريعية بغرفتيها وجهات القرار المختلفة في الدولة، والنخب الاقتصادية والتجارية والمجتمعية، لتدارس وضع الخطط والاستراتيجيات والبرامج والتوجهات لصياغة معالم المرحلة القادمة بالنسبة إلى عديد من الملفات الكبرى.

وقال سلمان "إننا بحاجة إلى هيكلة اقتصادية جديدة في ظل التراجع المخيف في أسعار وأسواق النفط، والذي يُتوقع له أن يستمر، علاوة على جملة الأوضاع المعيشية وقضايا التوظيف في القطاعين العام والخاص وإعادة هيكلة سوق العمل وعجز الميزانية ومديونية الدولة، وحماية وتقوية نظام التقاعد، والسياسات الضريبية والمالية وكيفية التعاطي مع عجوزات الموازنة العامة وقضايا الأجور ووظائف المستقبل والبطالة والإسكان والتعليم والنظام الصحي، والخصخصة وغيرها".

وبيّن أن العالم ما قبل كورونا سيصبح وراءنا بالكامل تقريبا، ومن الحكمة أن نستفيد بشكل إيجابي من الأزمة لنحيلها فرصًا مواتية لنجاحاتنا المرجوة، إذ إننا سنجد أنفسنا قريبا في مواجهة عالم آخر بكل تحدياته المستجدة وقساوته التي لن ترحم من سيتباكون فقط على ضياع بعض الفرص أو الاستثمارات أو المشاريع دون التفكير في كيفية خلق فرص جديدة وربما تكون واعدة بشكل أكبر أو لم تكن في الحسبان.

ولفت النائب الأول لرئيس مجلس النواب إلى أنه على تواصل مع كثير من النخب الاقتصادية والاجتماعية والأكاديمية التي تتدارس فيما بينها الكثير من الأفكار والحلول والاستراتيجيات حاليا، وهم يدعون إلى صياغة وبلورة جهودهم إلى جانب جهود وتطلعات الحكومة، والتي يجب أن تستثمر وتضاف وتتكامل مع بعضها، بغية وضع الخطط الاستراتيجية والبرامج والحلول الناجعة لكل تلك التحديات القائمة والمنتظرة، حيث لن تسمح الظروف والتداعيات المتلاحقة وتحت أي ظرف بنجاح أو تزكية أي حلول ترقيعية أو مجتزأة أو مرتبكة أو لا تستند على عوامل التجربة والشفافية والعلم والقياس الرصين بعد كل ما جرى.

زينل منتقداً هيئة تنظيم سوق العمل ومنصتها للتوظيف:

أضحت حاضنة للعمالة المخالفة بدل الترحيل

على خلفية تدشين هيئة تنظيم سوق العمل منصة إليكترونية تساءل عضو كتلة «تقدّم» البرلمانية النائب يوسف زينل عما إذا كانت الهيئة قد قررت سحب صلاحيات وزارة العمل في التوظيف؟ وهل يجوز دستورياً أن تسعى جهة حكومية لتوظيف الأجانب؟!

وعبّر زينل عن شديد استغرابه حيال تدشين هيئة سوق العمل منصة إلكترونية، من أجل تسهيل توظيف المواطنين والمقيمين في القطاع الخاص، ورأى في ذلك نقلاً لصلاحيات وزارة العمل إلى الهيئة، وسحباً لبساط التوظيف من تحت أقدام الوزارة؟

وأضاف: دون أي اكتراث للأصوات الشعبية الناقدة، تواصل هيئة تنظيم سوق العمل تقديم ما في جعبتها من أنظمة ومشاريع، فبعد نظام البحرنة الموازي جاء التصريح المرن، واليوم نحن أمام منصة توظيف واحتضان للعامل الوافد المخالف عوض ترحيله.

وحمّل زينل قياديي الهيئة مسؤولية التشوهات التي عادت لسوق العمل البحريني، وما أفرز ذلك من أزمة صحية في صفوف العمال الوافدين، حيث يتفشى فيروس كورونا مضاعفاً حجم الضغط على الدولة وميزانيتها وفريقها الوطني المتصدي للفيروس.

في ندوة للتقدمي «سوق العمل ودروس كورونا»

فلاح هاشم: البحريني أثبت جدارته وطاقات معطلة يجب إحلالها

أكدّ النائب عن كتلة «تقدّم» فلاح هاشم على جدارة العنصر الوطني في مواجهة الأزمة الحالية المتمثلة في جائحة كورونا على كافة خطوط المواجهة. لافتاً إلى ما يقوم به القطاع الصحي من جهود جبارة في هذه المواجهة، وهو الأمر الذي يدعو إلى التأكيد على أهمية الاعتماد على العنصر الوطني في كافة المجالات كونها دائماً ما تثبت جدارتها واستعدادها لخدمة الوطن عند المحن.

وقال هاشم في ندوة افتراضية ضمن فعاليات التقدمي لملتقى الأحد، والتي عقدت بعنوان (سوق العمل ودروس جائحة كورونا)، أن هناك ما نسبته 25٪ في القطاع العام من العمالة الوافدة، وفي الوقت ذاته هناك أكثر من 25 ألف طلب توظيف لدى ديوان الخدمة المدنية من شباب بحرينيين جامعيين جاهزين للعمل. واعتبر هاشم بأن هذه العاطلين هم طاقات وطنية معطلة يجب النظر بعين الجدية لها والتخطيط لإحلالها. ودعا إلى ضرورة الالتفات إلى الكادر الصحي من العاطلين والذي هم متواجدين في مواجهة هذه الجائحة كمتطوعين، فقد أثبتوا جدارتهم من أطباء وممرضين وفنيين ومسعفين، وهم كفاءات مؤهلة.

وأشار هاشم إلى تقرير صادر مؤخراً عن غرفة تجارة وصناعة البحرين، واصفاً إياه بالتقرير المهم والذي يجب النظر إليه بجدية لما يحتويه من معلومات وبيانات لانعكاسات أزمة جائحة كورونا. وأوضح بأن نتائج استبيان التقرير تشير إلى تفاوت نسبة تأثر القطاعات حسب حجمها وتتراوح نسبة التأثر بين 25٪ في القطاعات الصناعية وقد تصل في قطاعات أخرى كقطاع الضيافة إلى 65٪ حسبما جاء في نتائج استبيان غرفة تجارة وصناعة البحرين.

لماذا حقق فريق البحرين الوطني الإلتفاف حوله؟

منذ بداية انتشار وباء فيروس كورونا في العالم، وقبل أن تعلن منظمة الصحة العالمية عنه، وتحوّله إلى جائحة على المستوى العالمي، خطت البحرين خطوات متقدمة، وذلك عبر تشكيل فريق البحرين الوطني بقيادة سمو ولي العهد الأمير سلمان بن حمد، مما أعطى معنى لجدية جهاز الدولة لمواجهة هذا الوباء بالتفاف ومساندة منقطعة النظير على المستوى الوطني من جميع فئات شعب البحرين، فمكّنه ذلك من التصدي لهذا الوباء بأقل الخسائر رغم محدودية امكانيات البحرين مقارنة بدول متقدمة علينا في الإمكانيات العلمية والمالية.

ولقد كان لتضافر العديد من العوامل وتكاملها دور أساسي في تمكين هذا الفريق من أداء مهماته بنجاح، وهناك أيضاً من الجهات أو القطاعات ممن تحمل العبء الأكبر في هذه المواجهة.

ومن أهم هذه العوامل:

أولاً: ليس خافياً على العيان أن هذا الفريق اعتمد على العنصر البشري الوطني، بدءاً من مستوى القيادة حتى المستويات الأخرى في الادارة وجميع الخدمات المساعدة؛ فكلنا عايش وتواصل مع أعضاء هذه الفرق من أطباء وممرضين وأفراد الدفاع المدني ومتطوعين في المراكز المختلفة من محاجر ومراكز فحص وغيرها من الأماكن، بما فيهم فرق الخدمات المساعدة حيث كان للعنصر الوطني الدور البارز في هذا الجهد الكبير.

ثانياً: التكاتف والعمل بروح الفريق الواحد، وتوحيد جهود القطاعات والوزارات المختلفة، حيث برزت فيها أدوار لعدة جهات كوزارة الصحة مع وزارتي الدفاع والداخلية والمستشفيات الثلاثة: السلمانية، العسكري، والملك حمد وتكامل عملها بهدف خدمة البحرين.

ثالثاً: سرعة اتخاذ القرار والشفافية التي تميّز بها عمل هذا الفريق عبر تواصل مستمر مع الجمهور في مؤتمرات صحفية، تطلع الجميع منذ بداية الأزمة على أخر المستجدات والتوجيهات، وهذا ما شدّد عليه سمو ولي العهد؛ مما ساهم في بث الطمأنينة لدى المواطنين وتخفيف هواجس الهلع لديهم.

رابعاً: الشراكة المجتمعية مع كل المؤسسات الرسمية بسلطتيها التشريعية والتنفيذية من جانب، والمؤسسات المدنية والأهلية، وتفعيل هذا المبدأ على أرض الواقع، بدءاً من عملية تسجيل المتطوعين إلى إعداد وتأهل فرق التعقيم وغيرها، التي ساهمت فيه وزارات عدة من ضمنهم وزارة الداخلية التي كان لجهودها دور كبير، والمؤسسات الأهلية كالجمعيات المجتمعية من خيرية ومدنية.

الجهات التي تحملت العبء الاكبر

في مواجهة الجائحة تحملت العديد من الجهات العبء الأكبر من الأدوار والمسؤوليات، ومن أهمها:

المؤسسات التي يمكن أن نطلق عليها منظومة الحماية الاجتماعية مثل (صندوق التأمين ضد التعطل وصندوق الضمان الاجتماعي عدا صندوق العمل تمكين).

فلاح هاشم

قطاع الخدمات العامة الذي تديره الحكومة، وبالذات الخدمات الصحية والخدمات المساعدة، فهي من تحمل العبء الأكبر؛ مما أكد دورها كخط دفاع أول ورافعة يعتمد عليها في أساسيات حاجات المجتمع.

وبالتأكيد هناك عدة عوامل لا مجال الان لذكرها، ولكن المهم ماذا نتعلم من هذا النجاح؛ لنعممه، ونبني عليه مسيرة التنمية والتطور؟

نعتقد أن من ضمن ما يمكن استخلاصه من هذه الجائحة جملة من الدروس من ضمنها:

الاعتماد على الطاقات الوطنية التي طالما تمّ، وللأسف، تعطيلها وتهميشها عن طريق الاعتماد على العمالة الوافدة، وتعطيل هذه الطاقات، وما تبعه من مسؤولية على الجهات الرسمية وخاصة في الوزارات التي طالما اعتمدت على بقاء العمالة الوافدة بدلاً من تهيئة وإدماج القوة البشرية البحرينية بحجج لم تعد مستساغة.

فليس من المعقول أن تعتمد البحرين على أكثر من 3600 مدرس وافد في وزارة التربية. وكذلك وجود عدة آلاف آخرين من ذوي التخصصات الفنية والإدارية من العمالة الوافدة في القطاع الحكومي؛ كالأشغال والبلديات والكهرباء والصحة وغيرها من القطاعات المختلفة، وبالذات في الشركات الوطنية الكبرى، يقابلهم عشرات الآلاف من الخريجين الجامعيين في التخصصات الفنية والإدارية والتعليمية، من خريجي الجامعات في البحرين وخارجها، وبمعدلات متفوقة، وهم على قوائم الباحثين عن عمل لدى ديوان الخدمة المدنية ووزارة العمل لسنيين طويلة.

قطاع الخدمات العامة، أي المدار من قبل الحكومة؛ وبالذات الخدمات الصحية والتعليمية، مما يتطلب إجراءات تساهم في حمايته وتدعيمه وعدم التضحية به أو جعله ثانوياً أمام أطماع بعض الشركات الاستثمارية عن طريق الخصخصة أو أية برامج أخرى، بل إن هذه الأزمة أكدّت على أهمية دوره وحاجة المجتمع اليه.

منظومة الحماية الاجتماعية بجميع أفرعها (التأمينات الاجتماعية، التأمين ضد التعطل، الضمان الاجتماعي وصندوق العمل تمكين) من المهم المحافظة عليها وعدم تحميلها تبعات برامج وخطط أخرى، كما كان متبعًا، كمثال التقاعد الإختياري أو عمليات التخلص من العمالة البحرينية، ومراجعة القوانين والإجراءات المتبعة في حالات التخلص من العمالة في بعض القطاعات العامة والخاصة.

موظفون بحرينيون على حافة التسريح بعد انتهاء «دعم الأجور»

تلقت "الأيام" العديد من الاتصالات والشكاوى لموظفين بحرينيين تعتزم شركاتهم انهاء خدماتهم خلال الاشهر القادمة وذلك بعد انتهاء فترة الدعم الحكومي المقدم لدعم الاجور للأشهر "ابريل، مايو ويونيو".

وقالوا إنهم استلموا إخطارات تفيد بإنهاء خدماتهم خلال شهري يوليو وأغسطس القادمين بحجة إعادة هيكلة الشركة بسبب خسائر تجارية جرّاء تداعيات "أزمة كورونا"، وهو ما يعني عدم القدرة على الاحتفاظ بالعدد الحالي من الموظفين.

فيما أكد موظفون لـ "الأيام" أن الشركات التي يعملون فيها لم تتعرض لخسائر مالية بل زادت أرباحها ومبيعاتها حتى خلال فترة الإغلاق خصوصًا وأن الحكومة أبقت على البيع "اون لاين" لكثير من المحلات التجارية، مطالبين الحكومة بالتدخل العاجل لإيقاف تلك التسريحات لكي لا يكون البحريني خيارا سهلا للفصل دون خطأ بدر منه.

من جانبه حذّرالاتحاد الحر لنقابات عمال البحرين من تداعيات سلبية على العمالة الوطنية بسبب عزم مجموعة من المؤسسات الاقتصادية الكبيرة والمتوسطة، التخلص من عمالة وطنية بنسبة تصل إلى 30٪ من قوة العمل لديها.

وقال: إن بعض المؤسسات التجارية أبلغت عمالها أنها ستتخذ قرارات الفصل بسبب حدوث خسائر جراء تداعيات أزمة فيروس كورونا، وهو ما ينافي الواقع تماما، حيث حصلت تلك الشركات على دعم حكومي سخي يتمثل في دفع رواتب العاملين لثلاثة أشهر والتكفل أيضا بفواتير الكهرباء والماء ووقف تحصيل إيجارات عقارات تابعة للدولة، وهو ما يؤكد استفادة العديد من الشركات من تلك التسهيلات وتحقيق ربح أفضل مما كان الوضع عليه قبل أزمة كورونا.

"الأيام " – 6/6/ 2020

% 30
تسريحات
بعد «دعم الأجور»

«الغرفة»: 57% من أصحاب الأعمال يتوقعون إغلاق منشآتهم التجارية

كشف استبيان حديث أجرته غرفة تجارة وصناعة البحرين، عن استفادة مانسبته 73٪ من أصحاب الأعمال من الدعم الحكومي المقدم من الحزمة المالية وتمكين وصندوق السيولة.

وتوقع 64٪ من أصحاب الأعمال المشاركين في الاستبيان – الذي شمل 1180 مشاركاً – انخفاضاً كبيراً في إيرادات منشآتهم التجارية خلال الفترة القادمة و 57٪ منهم يتوقعون إغلاق منشآتهم في الفترة ما بين الشهر وحتى 6 أشهر.

كما كشف الاستبيان حول "الآثار الاقتصادية لجائحة كورونا" الذي أعدّه مركز الدراسات والمبادرات بالغرفة، عن قيام 55٪ من أصحاب الأعمال بخفض نفقات التشغيل كالرواتب والتدريب والتسويق والمخزون، بينما قام 45٪ منهم بتأخير سداد الديون أو المستحقات المالية في ظل شح السيولة النقدية.

فيما رجح 50٪ من أصحاب الأعمال أن يستمر التدفق النقدي لنشاطاتهم التجارية فقط ما بين الشهر وحتى الأشهر الـ6 القادمة.

وأوضح الاستبيان، أن 93٪ من أصحاب الأعمال تأثرت أعمالهم نتيجة لقرار الإغلاق الاحترازي للمحال الصناعية والتجارية، بالإضافة لتوقع 32٪ منهم بتسريح أكثر من 20٪ من موظفيهم خلال الفترة المقبلة.

كما اتخذ أصحاب الأعمال العديد من الإجراءات للتخفيف من آثار "كورونا" على الموظفين، حيث قام 47٪ منهم باتخاذ تدابير وقائية مع تقليل ساعات العمل، و 36٪ من قام منهم بإيقاف العمل تماماً حفاظاً على سلامتهم و 41 ٪ تقديم نصائح ومستلزمات تعقيم إضافية.

يشار إلى أنه تم إجراء الاستبيان في فترة تطبيق الإغلاق الاحترازي الكلي أو الجزئي للمحال الصناعية والتجارية.

«الوطن» – 9 / 6/ 2020

المؤسسات الصغيرة والمتوسطة تطالب بتمديد الدعم حتى نهاية العام الجاري

طالب عدد من أصحاب المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الجهات المسؤولة عن القطاع التجاري والخدماتي مثل وزارة الصناعة والتجارة والسياحة ووزارة العمل ووزارة الكهرباء والماء باستمرارية الدعم المتعدد حتى نهاية العام الجاري. وأضافوا أن الحكومة وقفت مع التجار وأصحاب الأعمال، وعليه قدمت دعما ماليا وخدمات مساندة متعددة عبر الوزارات وأجهزتها إلى التجار وأصحاب الأعمال لكسر الجمود في تدني مبيعات هذه المؤسسات منذ ظهور جائحة كورونا كوفيد 19.

وأوضحوا في خطاب رفعوه إلى وزارة المالية ووزارة الكهرباء والماء وهيئة تنظيم سوق العمل وتمكين وغيرها ظروف المطالبة بتمديد الدعم المالي والإعفاء من الرسوم حتى نهاية هذا العام، وقالوا إن ذلك يعود إلى الحالة المتدنية لنشاطات هذه المؤسسات وخاصة الصغيرة والمتوسطة، وتراجع دخولها، منوهين في الوقت ذاته إلى أن استمرار الدعم سيمكنهم من تجنب عواقب اقتصادية مريرة.

«أخبار الخليج» – 2020/6/7

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب
الفنان على
«انستجرام»

54% من «التعليم والتدريب» توقفوا عن العمل حفاظا على سلامتهم

كشف تقرير لغرفة صناعة وتجارة البحرين، عن إيقاف 54٪ من أصحاب الأعمال في قطاع التعليم والتدريب أنشطتهم تماماً حفاظا على سلامتهم، بينما طبق 37٪ نظام العمل عن بعد لجميع أو بعض الموظفين.

وتأثرت أعمال 98٪ من أصحاب الأعمال في هذا القطاع نتيجة لقرار الإغلاق الاحترازي للمحال الصناعية والتجارية، واتخذ 24٪ منهم تدابير وقائية مع تقليل ساعات العمل.

وتوقع 45٪ من المشاركين في الاستبيان من أصحاب الأعمال في هذا القطاع أن يتم تسريح أكثر من 20٪ من موظفيهم خلال الفترة المقبلة.

وأشار الاستبيان إلى أن 51٪ من أصحاب الأعمال في قطاع التدريب قاموا بتفعيل العمل عبر الإنترنت، واعتمد 5٪ منهم على توصيل المنتجات والخدمات للمنازل، بينما استطاع 27٪ منهم من استكشاف منتجات وقنوات جديدة مستخدمين نهج جديد لخدمة العملاء.

فيما أوضح الاستبيان أن 71٪ منهم استفادوا من الدعم الحكومي "الحزمة المالية وتمكين وصندوق السيولة"، وقام 66٪ بتخفيض نفقات التشغيل مثل الرواتب والتدريب والتسويق والمخزون، وقام 39٪ منهم بتأخير سداد الديون أو المستحقات المالية للآخرين.

«الوطن»– 2020/6/9

71% من أصحاب الأعمال بـ«الضيافة» يتوقعون إغلاق منشآتهم وتوقعات بتسريح أكثر من 20%

توقع 56٪ من أصحاب الأعمال في قطاع السياحة والضيافة انخفاض إيرادات منشآتهم، فيما رجح 43٪ إفلاس وإغلاق منشآتهم في الفترة المقبلة، مع توقع 71٪ إغلاق منشآتهم في الفترة مابين شهر وحتى 6 أشهر القادمة.

ووفقا لاستبيان أجرته غرفة تجارة وصناعة البحرين، استبعد 55٪ من أصحاب الأعمال استمرار التدفق النقدي لنشاطاتهم التجارية لأكثر من شهر واحد فقط.

وتأثر 95٪ من أصحاب الأعمال في القطاع، إثر نتيجة قرار الإغلاق الاحترازي للمحال الصناعية والتجارية واتجه 31٪ منهم لتفعيل العمل عبر الإنترنت، فيما اتجه 41٪ للقيام بتوصيل المنتجات والخدمات، في حين استكشف 27٪ منتجات وقنوات جديدة لخدمة العملاء و 35٪ لأمور اخرى كنوع من التدابير لضمان استمرار الإعمال بسبب التأثر من قرار الإغلاق. أما بالنسبة لقطاع الثروة الغذائية "المطاعم والمقاهي"، توقع 75٪ من المشاركين انخفاضاً كبيراً في إيرادات منشآتهم خلال الفترة المقبلة، مع توقع إغلاق منشآتهم في الفترة مابين شهر وحتى 6 أشهر القادمة. فيما توقع 49٪ أن يستمر التدفق النقدي لنشاطاتهم التجارية فقط ما بين الشهر وحتى الأشهر الـ6 القادمة.

وتأثرت أعمال 67٪ من أصحاب الأعمال في هذا القطاع، نتيجة لقرار الإغلاق الاحترازي للمحال، حيث فعل منهم 36٪ العمل عبر الإنترنت واتجه 55٪ منهم للقيام بتوصيل المنتجات والخدمات و 39٪ قاموا باستكشاف منتجات وقنوات جديدة ونهج جديد لخدمة العملاء.

"الوطن" – 2020/6/9

الموت يغيب أحد مؤسسي التقدمي

خبت شمعة أحمد البوسطة التي اشتعلت دومًا لوطنٍ حرٍ وشعبٍ سعيد

نعى المنبر التقدمي في بيان له الصحافي أحمد البوسطة أحد كوادره المؤسسة، والذي رحل عنا يوم الثلاثاء 16 يونيو 2020 بعد معاناة مع المرض. وقدّم «التقدمي» أبلغ التعازي القلبية إلى عائلته ورفاقه وزملائه.

وقال التقدمي بأن الرفيق أحمد «أبو فهد» كان له دور بارز في لجنة الإعداد وبعدها في اللجنة التحضيرية لتأسيس المنبر التقدمي مع الانفراج السياسي في فبراير عام 2001، حيث تلاقى بعض الرفاق ومن بينهم الرفيق الراحل لجمع تيار جبهة التحرير الوطني في تنظيم تقدمي علني، حيث انبثق فيما بعد المنبر التقدمي.

ولد الفقيد في منطقة رأس الرمان بالمنامة وعاش معاناة الفقراء والكادحين من أبناء تلك المنطقة بالرغم من وجود بيت المستشار البريطاني المستعمر وسفارتهم فيها، ففي تلك المنطقة كانت كوادر وأعضاء جبهة التحرير الوطني ينشطون، فانخرط ذلك الشاب اليافع في صفوفها وكان له نشاط بارز مع الرفاق والأصدقاء في دعم مرشح كتلة الشعب المحامي المرحوم خالد الذوادي في انتخابات السابع من ديسمبر 1973 بإيصاله إلى المجلس الوطني.

وتابع البيان بأن الفقيد كان لاعباً معروفاً في صفوف نادي رأس الرمان الرياضي والثقافي، وفي منتصف سبعينيات القرن الماضي تم اختياره لتمثيل البحرين في منتخب الشباب والأول وشارك في العديد من المناسبات الكروية في البحرين وخارجها، بعدها التحق للدراسة في الاتحاد السوفييتي وحصل على شهادة الماجستير في الصحافة من جامعة لينينغراد (سانت بطرسبورغ حالياً) عام 1981، عمل في العديد من الصحافة المحلية والخليجية لسنوات عديدة، وكانت كتاباته الصحفية جريئة لأنها تتعاطى مع الواقع الملموس، وقبل مرضه بسنوات أنيطت إليه من قبل المنبر التقدمي مع البعض من الرفاق مسؤولية تدوين وكتابة تاريخ جبهة التحرير الوطني من خلال إجراء مقابلات مع العديد من رفاقنا المناضلين القدامى، كما أن له مساهمات في نشرة التقدمي.

وقال البيان بأنه "بوفاته تنطفئ شمعة كانت تشتعل دوماً من أجل غد أجمل لوطن حر وشعب سعيد."

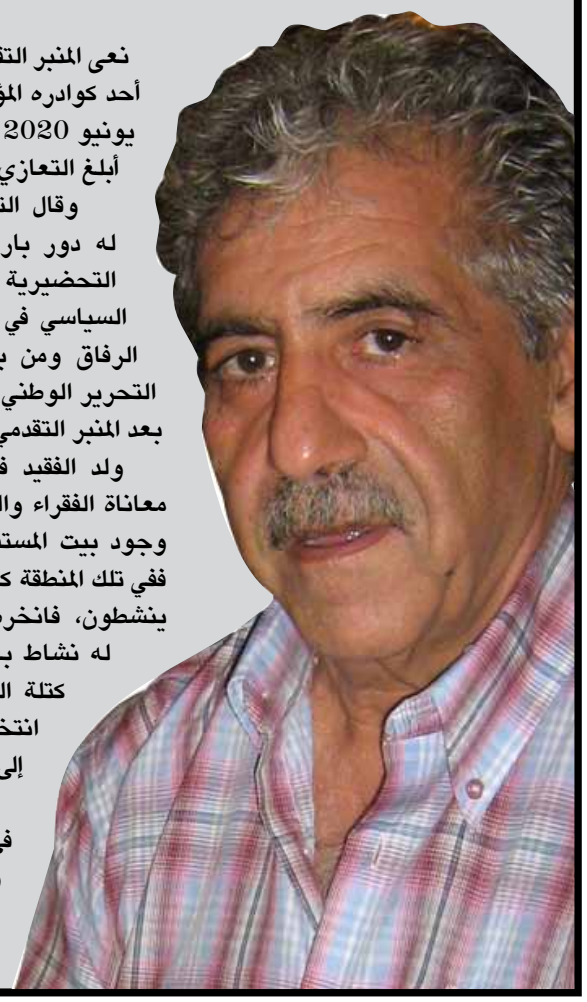

سعى دومًا لوطنٍ حرٍ وشعبٍ سعيد

ذاكرة أحمد البوسطة

د. حسن مدن

بين المقالات التي جرى تداولها للفقيد العزيز أحمد البوسطة بعد رحيله، مقالان نُشرا في جريدة «الوسط» في نفس العام، عام 2005، وإن كان يفصل بينهما بضعة شهور، فأحدهما نشر في يونيو، والآخر نشر في نوفمبر. وأمام المقالين نودّ أن نقف في هذه العجالة، كون كل واحد منهما يُعرفنا على جوانب من شخصية أحمد.

عنوان أحدهما هو: «الخنجر الأول كان في خاصرة رأس الرمان»، ويسعفنا في التعرف على البيئة التي ولد فيها ونشأ، في منطقة الرأس رمان، التي كانت واحدة من أهم رئات العاصمة المنامة المطلة على البحر، وكان الجسر الأول بين المنامة والمحرق يصل إليها. والمقال المذكور هو بمثابة رحلة في الذاكرة، ذاكرة المكان تحديدًا، حيث يستعيد الكاتب صورة المكان الذي فقدنا الكثير من ملامحه، بسبب التغيرات العمرانية الكثيرة، التي لم تخل من العشوائية، ولم تصن، في الكثير من صورها، البيئة البحرية المحيطة، لا في رأس الرمان وحدها ولا في المنامة وحدها، وإنما في مناطق كثيرة من البحرين.

المقال الثاني هو الآخر رحلة في الذاكرة، ولكن هذه المرحلة ذاكرة الأفراد، بمن فيهم ذاكرة أحمد البوسطة نفسه. وعنوان هذا المقال هو: «هو مشاغبات طلابية ولكن..»، حيث يعود بنا الكاتب فيه إلى مدرسة الحورة الثانوية للبنين في السنوات الأولى من السبعينات، وهي المدرسة التي أنهى أحمد فيها الثانوية العامة، حيث يذكرنا بزملاء له في تلك المدرسة، كنت واحدًا منهم، فيأخذنا، وقد بتنا كهولًا، إلى ذلك الزمن الواعد، الذي لم يكن فقط زمن «المشاغبات» بتعبيره، وإنما زمن الوعود والآمال الكبيرة، في مناخ مختلف عاشته البحرين يومها في اختمارات الوعي وإرهاصات التحولات.

من لم يقرأوا المقالين، كما مقالات كثيرة للبوسطة، متاحة على مواقع الصحف البحرينية على الإنترنت، عليهم أن يعودوا إليها، ففيها لا يمكن قراءة قضايا الحاضر الشائكة بكل ما تنطوي عليه من تعقيدات، وإنما مقدمات هذا الحاضر التي نشأت في رحم الماضي، وكان قدر جيلنا، جيل أحمد وجيلي وجيل المئات مثلنا، أن نشأ في خضمها.

«ليس كبار السن فقط في حي رأس الرمان، يقول أحمد، حتى الشباب منهم، يسجلون ذكرياتهم عن أيام مضت، ولا يزالون يحنون «للدود البحري» الذي اختفى، ولأمواج البحر التي كانت تلاطم «دولاب الباليوز» ومحطة الكهرباء ومسجد بن ساعد أو المسجد الكبير».

المقال الثاني كتبه أحمد في صبيحة يوم كانت نفسه فيه، كما كتب في مقدمته، «مفتوحة لتَنشيط الذاكرة حول وجوه تجمعت في صف واحد في مدرسة الحورة الثانوية»، ليرينا مصائر تلك الوجوه بعد هذا العمر الممتد، ويلتقط بحاسته اللمّاحة حكايات، ما كنا ننتبه لها في حينه، لأنها كانت تفاصيل عادية في حياتنا يومذاك، فإذا بالزمن يضفي عليها حكمة ومعنى ودلالة، فأتى أحمد ليمسك بكل ذلك، ويقدّمه مقطرًا في كلمات عذبة.

في المقال يذكر أحمد أسماء من زاملوه في تلك المدرسة، الذين كانوا يتبادلون الكتب التي صنعت وعيهم، مثل رواية «العقب الحديدية» لجاك لندن، وكتب سلامة موسى وجورج حنا، كما يتبادلون أشرطة الشيخ إمام، وفرقة «الطريق» العراقية، وأغاني «جعفر حسن، وجعفر علي، وفؤاد سالم، وعدلي فخري، وفرقة حب مصر وغيرها، ويحفظون عن ظهر قلب قصيدة الشاعر العراقي محمد صالح بحر العلوم: «أين حقي». كان ذاك زمن آخر، له مذاق آخر، نحاول أن نستعيد بقاياه بعد أن فصلتنا عنه السنوات الطوال.

عاش أحمد البوسطة حياته كاملة حتى رحيله، بعد معاناة مريرة مع المرض، وهو وفيٌ لتلك الذاكرة بكل ما تمثله. ظلّ أميناً للوعي الذي زرعت بذوره في عقله الفتي آنذاك، وخاض الاختبارات الصعبة في الحياة، كما في الصحافة، التي راكم فيها خبرة طويلة تمتد عقودًا، بين الامارات والبحرين، وسيظل اسمه ناصعًا في تاريخ الصحافة البحرينية، كاتبًا صاحب عبارة ساخرة، شجاعة، جديرًا بأن يقدّم كأبرز مثال على الصحفي الوفي لرسالة الصحافة، التي لم يرها يوماً منفصلة عن الحياة، وراهن دائمًا على اشتباكها مع قضايا وطنه ومجتمعه وأمته، هو الذي ظلّ في خضم تلك القضايا، ولم يقعده عنها إلا المرض.

فضفضة

لازمتهُ ضحكته

عيسى الدرازي

لعلّها هي أول ما يشدّك إليه، ضحكته المجلجلة، التي يطلقها بعد تعليقات لاذعة في أمر يسترعي انتباهه، والتي أصبحت لازمته لتبريد وطأة تلكم التعليقات التي غالباً ما تكون لاسعة. وهي ذات الضحكة التي وجهت لي الدعوة للاقتراب منه في أروقة صحيفة «الوقت» حينما كانت بداياتي في عالم المهنة حيث كان يحمل مسؤولية قسم الدوليات.

الحوارات التي كنت أشهدها ل «أبو فهد» مع آخرين في مكاتب الصحفية لا تختلف باختلاف الكراسي التي يجلس أمام أصحاب مكاتبها، فالذي يقوله أمام فنيي تنفيذ الصفحات يقوله أمام الكتاب الصحفيين في مختلف الأقسام ويقوله أمام هيئة تحرير الصحفية، لا يُغيّر ما يقوله بتغيّر الشخص الذي أمامه مهما أتفق معه في الرأي أو خالفه مخالفة شديدة.

من هم في مثل أحمد البوسطة يصعب فيهم الرثاء. ولم يدر في خلدي يوماً بأنني سأكتب عن مناقب «أبو فهد»، كما اعتدت أن أناديه أو ناعياً له، لأنه كان جلداً عنيداً وكنت أخاله سيقف كما كان دائماً نداً لخصمه وسيجارته في فمه ينفث دخانها دون اكتراث، حتى لو كان ذلك الخصم هو الموت. فلا يختلف على صفاء قلبه وبياض يده اثنان، وهو من الشخوص النادرة التي يجتمع على احترامها الخصوم والأضداد. وبفقده فقدنا مناضلاً من الطراز الأول، مناضلاً نفاخر به الزمن.

يمكن أن تكون قد خذلته الصحافة كوظيفة ولم تخذله الصحافة كمهنة، فشخصية «أبو فهد» لا يمكن لها إلا ان تكون شخصية صحافي يمسك قلمه ويُسلطه على مكامن القصور والخلل أينما صدر، مهما كانت إدارات الصحف تتفن في القفز على حبل المحاذير وتتماهى مع الكلمة واللعب على المفردات وتلطيف المعاني الظاهرة، كان أبو فهد لا يهادن ولا يحمل الكلمة أكثر من معنى، يقول ما يقوله غير مأسوف عليه ويوسم قوله ذاك بضحكته المجلجلة، حتى تتيقن بأنه قائلها وليس أحد آخر.

بعد إحدى فعاليات «التقدمي» في ملتقى الأحد، كانت تلك المرة الأخيرة التي أراه فيها، بعد السؤال والتحية وتتبع المستجدات الحياتية، وحينما أخبرته بتركي العمل في الصحافة أجاب بكلمة عبارة مجردة رماها ومشى: «حسناً فعلت».

نذر روحه وفكره للنضال

أحمد البوسطة

عصمت الموسوي

الكاتبة مع الفقيد البوسطة في ندوة بالمنبر التقدمي

من النادر أن تتوفر بيئات العمل ومكاتب الوظيفة على زملاء يتمتعون بشخصيات موهوبة وممتعة ومشاغبة ومتفردة وساخرة، تسعد بوجودهم إذا قدموا وتفتقدهم إذا غابوا، في حضرتهم يصير العمل الشاق الممل الضاغط لطيفًا ومحتملًا، عن زميلنا الصحفي الراحل احمد البوسطة أتحدث: إذ مثّل البوسطة أحد وجوه الصحافة البحرينية المضيئة إبان ازدهارها وتعدد أصواتها وتنوع نكهاتها، وعندما كانت الصحف تتنافس لاستقطاب الأقلام المختلفة – بغض النظر عن انتماءاتها الايديولوجية أو المذهبية أو السياسية – ما منحها النجاح والتألق.

من كان يتصور أن الشاب الذي بدأ حياته كأصغر لاعب في منتخب البحرين لكرة القدم سينتهي به المطاف كسيحًا ومريضًا؟

إنها رحلة عمر طويلة ذات منعطفات فارقة وغريبة تتبدى فيها شخصية البوسطة المتمردة السابحة في ملكوتها الخاص، وروحه العنيدة غير القابلة لمجاراة الزمن الذي كان يريد ان يطيعه وفق هواه ومزاجه. انخرط البوسطة في العمل الصحفي متسلحًا بوعي ماركسي عميق ومتجذر، انغمس فيه حتى النخاع وصار جزءاً من تكوينه ونمط حياته، انساب في كتاباته وكلامه، لم يخفه أو يداريه حتى بعد سقوط معقل الشيوعية وتحوّل الرفاق إلى مرافئ أكثر أمنًا واستقرارًا، وبشهادة أكاديمية رفيعة المستوى وبموهبة حقيقية في التعبير والكتابة السلسة مع حس عالٍ بالمسؤولية ناقد للظلم وغياب العدالة.

تعذّر عليه العمل في البحرين في منتصف السبعينات، إبان سيطرة قانون أمن الدولة فذهب إلى المنفى القسري، وعاد الى الوطن مجددًا عندما لاحت بشائر التغيير والإصلاح السياسي وطي صفحة الماضي والتسامح مع المغضوب عليهم وادماجهم في منظومة التوجهات التصالحية الجديدة، بيد ان سفينة البوسطة لم ترسو يوما على ضفة إلا لكي تغادرها سريعًا، لم يعرف المهادنة ولا المرونة ولا نصف القول، يختلف يوميًا ويتشاجر ويعلو صوته ويهدد ويتوعد مع «مقص الرقيب"، عدوه اللدود، ثم يعود ادراجه في اليوم التالي تسبقه ضحكته المجللة مجتهدًا للعمل ضمن الممكن والمسموح وبما لا يمس قناعاته ومبادئه.

قال لاحقًا: إن أجمل مقالاته هي تلك التي كتبها في صحيفة «الوسط» ومجلة «الديموقراطي»،وهي وحدها التي تستحق التوثيق لأنها لم تُخدش بمقص الرقيب، بطل تراجيدي بامتياز، ظل جيبه خاليًا لكن امتلأت جعبته بالحكايات عن تجاربه اليومية وهمومه واخفاقاته وطرائفه وذكاءه الفطري في التعاطي معها، وفي معاناته وخساراته المتكررة لمصدر رزقه.

ذات يوم في نهاية التسعينات تصوّر له أن بإمكان شخص على شاكلته أن يصير ثريًا ويغادر مرافئ الفقر والعوز التي أنهكته طوال حياته. قدّم استقالته من صحيفة «الأيام»، وباع أثاث منزله وتحصّل على مدخراته التأمينية ومضى إلى تجربة في الاستثمار التجاري – بحسن نية وسذاجة – فخُدع وخسر وضاعت معها حصيلة عمره. اقترض لاحقًا وأجبر نفسه على الالتزام الوظيفي مكرهًا، وبدا كمن ربط نفسه بصخرة ثقيلة لا فكاك منها لتلبية متطلبات دراسة الأبناء.

في تلك الفترة البسيطة من الزمن تجلى فيها ابداعه الصحفي وكتاباته المطعمة بخبراته الشخصية وبالأدب الروسي وبالشعر والروايات وبعشرات الكتب التي قرأها وتشرّبها وأعتنق مبادئها العظيمة ومُثلها الإنسانية في الحب والخير والجمال والعدالة، بيد ان الأمان الوظيفي في مهنة الصحافة كان أمانًا قصيرًا ومنطويًا على خدعة، وقد تجرّع مراراته كل من آمن بحرية الرأي والتعبير واتخذ الكلمة سلاحًا للتنوير والتغيير والإصلاح السياسي والمجتمعي والعدالة والمساواة وحكم القانون والتسامح وتقبل الاختلاف والمختلفين، منذ بدايات الصحافة البحرينية في مطلع القرن الماضي وانتهاء بالصحافة الورقية الراهنة التي ربما جاء كوفيد 19 لينتشلها من أزماتها ويريحها من وضعها المأزوم.

لم يخف البوسطة من شيء ولم يخف على أي شيء، نقطة ضعفه الوحيدة هي عائلته التي قاست معه وتضررت أشدّ الضرر بسبب عطالته وغربته ومرضه، منحته الدولة «مريضا» اضعاف ما حصل عليه وهو معافى، أحبّ الحياة ولكنه تعاطى معها بخفة، نسي قرص الدواء ذات ليلة – ربما سهوًا – فداهمته الجلطة، ذهب الى التأمينات للحصول على ما لديه من مستحقات فقيل له: تستحقها حين يصل عمرك إلى الثامنة والخمسين، قال لهم: وما أدراكم أنني سأعيش إلى هذا العمر؟.

نذر روحه وفكره للنضال

الراحل أحمد البوسطة: المناضل عاشق الوطن والحزب

في الثاني عشر من شهر يوليو الجاري ، يكمل المنبر التقدمي عامه التاسع عشر ويدخل عامه العشرين منذ انعقاد الاجتماع التشاوري التأسيسي في نادي طيران الخليج في ٢٠٠١/٠٧/١٢ في أول تجمع علني لأعضاء ومناصري جبهة التحرير الوطني، حيث فاق عدد الحضور ٤٠٠ شخص. وشكّل انعقاد هذا الاجتماع التأسيسي نقلةً في تاريخ العمل السياسي في البحرين، واللمسيرة النضالية للحركة الديمقراطية التقدمية التي ظلت لعقود تعمل بصورة سرية، وتعرضت طوال مسيرتها الكفاحية إلى ضربات قاسية من قبل السلطات الأمنية في البلاد، فدفع مناضلوها الثمن غالياً بين السجون والمنافي وحتى الاستشهاد تحت التعذيب، فيما حرم الكثير من أعضائها من العمل ومنعوا من السفر.

جاءت مرحلة الانفراج السياسي في فبراير 2001 لتنقل البحرين إلى حقبة إصلاحية مغايرة، فبدأت صفحة جديدة مشرقة ولتطوي صفحة قانون أمن الدولة السوداء التي استمرت لربع قرن من عام 1975 إلى 2001، وفي هذا المناخ انعقد الاجتماع التشاوري للتيار المحسوب على جبهة التحرير الوطني البحرانية وبحضور أجيال مختلفة من الأعضاء والأنصار.

هذا المدخل ضروري لتسليط الضوء على الدور البارز الذي قام به رفيقنا الراحل الصحفي والكاتب أحمد البوسطة في التحضير لهذا الاجتماع الهام، وهو ما لا يعرفه الكثيرون، حيث كان الراحل الذي التحف بتراب وطنه الذي عشقه وحتى وهو يقاوم المرض، واحداً من مجموعة من الرفاق الذين تولوا هذه المهمة التاريخية.

سبق أن كتبنا عن رفيقنا الراحل أبي فهد في «التقدمي» في النصف الثاني من عام 2015 بعد إجراء عملية بتر رجلَيْه نتيجة لمضاعفات مرض السكري والجلطات التي أُصيبَ بها، حيث كتبتُ عن أحمد البوسطة الرياضي الذي كان معروفاً في منطقة رأس رمان باسم «حماد»، وأصبح عضوا في منتخب البحرين لكرة القدم، ولعب مع لاعبين معروفين في الوسط الرياضي في منتصف سبعينيات القرن الماضي، فكانت جماهير المنطقة تهتف باسمه «حماد» في الملاعب الرياضية، لأنه لاعبٌ ماهرٌ وبارزٌ في صفوف الفريق لهذا أحبه وعشقه الجمهور.

كما كتبتُ عنه ثانياً بصفته صحفياً وكاتباً، كانت رسالة التخرج الجامعي للحصول على شهادة الماجستير من جامعة لينينغراد (سان بطرسبورغ حالياً) في عام 1981، عن الصحافة الحزبية السرية في البحرين، وبشكل خاص عن صحافة جبهة التحرير الوطني البحرانية، وبعد تخرجه عمل لعدة سنوات في صحيفة «الفجر» في أبوظبي، قبل أن يعود إلى البحرين ليعمل على التوالي في صحيفتي «الأيام»، ثم «الوقت» ، كما نشرت صحيفة «الوسط» له عدداً من المقالات، فكان صاحب قلم حر وجريء، يؤكد دائماً على أن على الصحفي التعبير عن واقعه الذي يعيشه.

حديثنا هنا سنركزه على الدور السياسي والنضالي للرفيق الراحل، فعندما طُرحت عليه الفكرة بتجميع الرفاق للاجتماع التشاوري الذي أشرنا له، كي تعود الدماء لتتدفق من جديد في شرايين التنظيم الذي لم تفلح كل الضربات المتلاحقة في اقتلاع جذوره العميقة في أرض أوال، فهو الحزب الذي اجتاز كل الصعاب وواصل مسيرته النضالية، وفي ذلك الوقت كان البعض يروج لمزاعم أن زمن الأيديولوجية والأحزاب العقائدية قد ولى، بما في ذلك بعض «الماركسيين» المأخوذين بنظرية نهاية التاريخ، مكررين: «اتركوا عنكم النظريات الأيديولوجية»، وراحوا يروجون لمصطلحات جديدة هي في جوهرها تسويق للمفاهيم الليبرالية وما تحمله في أحشائها من رأسمالية متوحشة.

وكان الرفيق أبوفهد من أوائل الرفاق الذين وافقوا على فكرة المبادرة، ولاحقاً أطلق على في أحد مقالاته المنشورة في جريدة «الوقت» مسمى «فرقة الكومندوز» على أعضاء اللجنة

فاضل الحليبي

التي عملت و بصمت للإعداد لذلك الاجتماع قبل أن تتوسع بإضافة رفاق آخرين في لجنة الإعداد، وكان أبو فهد شعلةً من النشاط ، حيث عهدت إليه مع رفيق آخر مهمة الاتصال واللقاء بالرفاق المخضرمين من كوادر التحرير لإقناعهم بفكرة تشكيل تنظيم تقدمي علني يحافظ على الهوية الفكرية والسياسية لحزب عريق قرر البعض تذويبه في شكل وأطر فكرية وسياسية مغايرة، إذ كان جيل الشباب من الرفاق واعياً ومدركاً لخطورة تلك التحولات الايديولوجية في الفكر اليساري للبعض والتي بدأت ملامحها تتضح في منتصف تسعينيات القرن الماضي عندما طرحت وقتها تسميات ومشاريع جديدة لم تُوفّق في مهمتها، بسبب وعي رفاقنا وتمسكهم بفكرهم وحزبهم، ليس رفضاً للتنسيق الوطني ولكن لفكرة الانصهار أو بالأحرى الضياع الفكري والسياسي.

ليس غريباً على الرفيق الراحل أبي فهد بأن تكون مواقفه واضحة بأهمية دور الحزب مهما كانت ظروفه وأوضاعه، كان مبدئياً في ذلك الرأي وهو الذي انخرط في صفوف الحزب منذ صباه، وبرز دوره مع سائر الشبيبة والرفاق والأصدقاء في دعم مرشحي (كتلة الشعب) التي شكلتها جبهة التحرير الوطني البحرانية من الشخصيات اليسارية والديمقراطية، وخاضت الانتخابات باثني عشر مرشحاً، فاز ثمانية منهم، محققين انتصاراً كبيراً لليسار في البحرين والخليج العربي، وكان أحدهم المرحوم المحامي خالد الذوادي شقيق رفيقنا الكبير الراحل أحمد الذوادي، في الدائرة التي تشمل رأس رمان ومنطقتي الذوادة والعوضية والفرجان المحيطة بها، كما فاز فيها المرشح الثاني الشخصية الوطنية عبدالرسول الجشي، وبالمناسبة فإنه كان يفترض أن ينزل في هذه الدائرة رفيقنا الكبير الراحل علي دويغر أحد أبرز من كتبوا برنامج كتلة الشعب، ولكن قبل فترة وجيزة من الانتخابات أجبره المقبور البريطاني هندرسون رئيس جهاز الأمن آنذاك على مغادرة البحرين.

في الاجتماع التشاوري في 12 يوليو 2001 انتُخب أحمد البوسطة عضواً في اللجنة التحضيرية للمنبر التقدمي وكان فيها مسؤول العمل الإعلامي، وساهم مع رفاقه في اللجنة بالتحضير لانعقاد المؤتمر التأسيسي في جمعية المهندسين نوفمبر 2001، مواصلاً بذلك دوره النضالي الذي بدأه قبل سفره للدراسة، واستمر فيه فترة دراسته في جامعة لينينغراد، حيث نشط في صفوف الاتحاد الوطني لطلبة البحرين، وشارك في بعض مؤتمراته العامة، كما ناضل في صفوف اتحاد الشباب الديمقراطي البحراني (أشدب) الذي كان له منظمات في بعض البلدان العربية والأجنبية في منتصف سبعينيات وثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي بهدف نشر الوعي التقدمي والسياسي والنقابي والمطلبي في صفوف الطلبة الدارسين في الخارج، فيما كان نشاط (أشدب) الرئيسي داخل الوطن.

ولما يتمتع به رفيقنا الراحل من خصال الطيبة والوفاء والالتزام بالمبدأ والدفاع عن حقوق الشعب بثبات ونكران ذات كان محط تقدير واسع في الأوساط الشعبية والوطنية على اختلاف توجهاتها. وكم يؤسفنا في نشرة «التقدمي» أن المرض لم يسعفه لكي يواصل الكتابة في النشرة التي تفخر بما له من مقالات فيها.

نذر روحه وفكره للنضال

رحلت يا رفيقي أحمد؟ لا ! لم ترحل

وهكذا توقف قلب أحمد ولم يتوقف نبضه المشع على من عايشه وعرفه عن قرب، نفس بهية، زكية، طاهرة، إنسان بسيط، رؤوف، حنون، محب يحمل هموم وطنه أينما حل أو ارتحل.

حمادي سليل عائلة معروفة بتعلقها بالثقافة والفن، فلا عجب أن يكون البوسطة ألمعيًا مثقفًا، ملتزمًا بمبادئه، حريص على نقائها وتطبيق ما التزم به من أفكار سواء في علاقته مع نفسه أو مع المحيطين به من عائلته أو أصدقائه، فأحمد لايتوقف عند حدود أو يتعب رغم الجراح ولا ينكس رايته، فقد ظلت خفاقة وفي أحلك الظروف، شخص مثل أحمد لا يقرّ بالهزيمة فقد نذر روحه وفكره للنضال جنبًا إلى جنب مع شعبه وفي أحلك الظروف رغم المصاعب والآلام، ظلّ وفيًا لمبادئه وأفكاره التي علمته كيف يقف صامدًا، شامخًا، مرفوع الرأس، هامته عالية دومًا وأبدًا .

حميد الملا

يمكن لأي شخص أن يمرّ بلحظات ضعف في الحياة، الا أحمد البوسطة فلا تضعفه الانتكاسات ولا الإعاقات، ولا تخلي الآخرين عنه، فهو عفيف النفس لا يأبه للصغائر ويتسامى على الخلافات، يحمل روح وبساطة الأطفال وشقاوتهم البريئة أيضًا.

ظلّ مدافعًا صلبًا لا يلين عن أفكاره في الحرية والسعادة لجموع شعبه، لم يركن للدفاع عن طائفة أو حزب، فقد كان محبوبًا من الكل متواجدًا مع الكل وهدفه واحد وحيد هو إبقاء جذوة النضال مشتعلة لتحقيق أهداف شعبه التي نذر نفسه من أجلها ودفع فاتورة نضاله في محاربته كصحفي متميز عمل في العديد من الصحف المحلية ك «الأيام» و«الوقت» و«الوسط»، إضافة للصحف الخليجية ومن ثم الإعاقة التي أقعدته كليًا عن أي نشاط.

هذا الإنسان البسيط لم تغره المادة ولم تُغيّره السنون ولم تهتز له قناة، لم يطلب تكريما من أحد رغم كل الأدوار المميزة التي عرف بها، فقد كان حريصًا على إعداد كتاب عن مناضلي جبهة التحرير الوطني البحرانية، وظلّ وفيا لحزبه وعكف على تدوين سيرة مناضلي الجبهة وعمل ليل نهارمع ثلة من رفاقه لأكثر من عام، وقابل العديد من المناضلين لتدوين سيرهم وعذاباتهم، وسجّل أقوالهم بدقة وبحرفية العارف لطرائق طرح الأسئلة محاولاً معرفة المزيد وبأسلوب ينم عن مقدرة صحفية فائقة الدقة والمسؤولية بنقل الكلمة كما هي مقدرًا لدور كل منهم مستمتعًا ومنتشيًا بتلك الأدوار البطولية، فأبلى بلاء حسنًا في تدوين تلك الأقوال، إلا أن الظروف لم تمهله لإكمال ما بدأه، وخير تكريم له أن يصدر هذا الكتاب بعد استكمال ما قام به أحمد من جهد.

معرفتي بأحمد وعملي معه عرفتني على أسلوبه البسيط في الحياة، فعلى الرغم من إنه حاد الطباع إلا أنه رائع كقصيدة شعر، ملتهب المشاعر، حالم، مرهف الحس والشعور، لهفته للتضحية لا تقاوم من أجل عائلته وأصدقائه ورفاقه وكأنما يوهب حياته للآخرين، دون آبه بما قد يحدث له، ناكرًا لذاته يقبل بالقليل، زاهدًا في حياته، متواضعًا أشد التواضع مع الآخرين.

أحمد لم يستطع الزمن إفساد روحه، ولم يسمح لاحد تلطيخ مبادئه بوحل المادة التي أفسدت الكثيرين وأبقتهم بعيدين عما آمنوا به ونذروا أنفسهم من أجله، وظلت كرامته طريقًا للسمو والرفعة ضاربًا المثل للكثيرين على الإخلاص للمبادئ رغم الإغراءات.

ضخامة الآلام والقدرة على البقاء رغم الظلمة لم تثنه عن مواصلة الدرب العسير الذي وهب نفسه له فكان من الأوائل الذين أخذوا على عاتقهم تأسيس المنبر التقدمي، وكان أحد أعضاء اللجنة التحضيرية المكلفين حيث لعب دورًا رئيسيًا، فأشعل شمعة في عتمة الظلام لمواصلة النضال جيلاً بعد جيل لغد أفضل، ولأجل وطن حر وشعب سعيد.

هكذا كان حال أحمد عندما تخرّج من قسم الصحافة من مدينة سانت بطرسبورج (لينينغراد) بالإتحاد السوفيتي وعاد إلى وطنه محملاً بالأفكار التحررية والتقدمية ليصيغ مشواره الصحفي استنادا الى تلك الحصيلة من الأفكار، واضعًا نصب عينيه إمكانية تطبيق ما تعلمه في الواقع العملي في وطنه، لذا فقد حرص أشد الحرص على أن يكون صحفيًا مخلصًا، متميزًا، دقيقًا في المادة الصحفية التي يُقدّمها رافضًا أن يملى عليه ما يريده الآخرون، وما يروه بأعينهم كما يقول، مما ترك لدى المسؤولين حيرة في كيفية ترويضه كما فعلوا مع غيره، فظلّ عصيًا عليهم، ناكفهم حتى أبعدوه ومع ذلك لم يستسلم أو يلين أو ينكسر.

هوذا أحمد إذن عاش شجاعا ومات بشجاعة ودونما إذلال، فقد صار ممن يؤثرون عيشة الكفاف على المذلة لأحد، وظلّ باعثه دوما حماسته لكل ما هو نبيل. أحمد ذالك الذى عرفته كان يدون ملحوظاته عن الناس العاديين الذين يلقاهم وعن مدرسيه وزملائه الطلبة، قوي الملاحظة، نافذ البصر قادر على وصف الواقع بدقة مهتمًا بالأدب أشدّ الاهتمام كما اهتمامه بالسياسة والصحافة. تعبيراته البليغة والصور الإبداعية في كتاباته تنم عن مقدرة وإحاطة باسرار اللغة الصحفية وعمق مدلولاتها.

نم قرير العين يا أحمد، فأنت معنا بروحك وبكتاباتك الجميلة وبكل ما قدمته من تضحيات، فلن ننساك يا رفيقي فأمثالك باقون، حتى وإن ذهبت أجسادهم تبقى أرواحهم محلقة، مرفرفة، بين محبيهم.

نذر روحه وفكره للنضال

وداعا أيها البحريني الجميل!

تعرفت إلى صديقي الراحل احمد البوسطة سنة ١٩٧٦ في مدينة «فارونيج» الروسية عندما وصل اليها لغرض الدراسة في كلية الصحافة. كان أحمد متأكدا من إختياره لهذا الاختصاص وهدفه أن يكون صحفيًا، ولم يتردد في ذلك كما كان يفعل العديد من الشباب.

كلنا كنّا نحن الطلاب العرب في عنفوان الشباب مشغولين بالتوهج الفكري والحماس لبلداننا العربية وتطورها وكان صديقنا الراحل أحمد البوسطة من هذا النوع بدون ان يتكلم بلغة خشبية أو يحب الظهور، ويدعي ما ليس له ويتفاخر لجل التفاخر، بل يحسن التعامل مع الآخرين بغض النظر عن معتقداتهم وانتماءاتهم الفكرية والحزبية لانه كان يؤنسن العلاقة مع الناس ويتميز بروح التسامح والطيبة مثل اغلب اهل البحرين الذين تعرفنا إليهم.

د. زهير ياسين*

وكان أحمد شخصا ودوداً لبقاً يحب المزاح ويجيده، بالذات اذا شعر بتجاوب المقابل وبخاصة اذا فهم الطرفة واللعب بالكلمات والفرق بين اللهجة والفصحى. بالنسبة لي كعراقي لم تكن هناك مشكلة، بل تعلمت بعض المفردات البحرينية من صديقينا العزيزين شوقي الحسن ويوسف فاخر. وكنا نضحك كثيرا لبعض التعابير العراقية والبحرينية خصوصا والخليجية عموماً. كنا نعيش هذه الأجواء الجميلة بين الشباب العربي التي صور جانبا منها الكاتب السعودي غازي القصيبي في روايته "شقة الحرية".

فكان الراحل احمد البوسطة لا يتعامل مع الانسان على أساس عرقه أو دينه او انتمائه الطائفي الذي اصبح اليوم مرضاً مزمناً مع الأسف الشديد، حتى ال"كورونا" لم تطح به لحد الآن، لكن "راح يجي يومه" إن شاء الله وتنتهي كل هذه النعرات الطائفية التي لا فائدة منها غير التشتت والتفرقة وإلهاء الناس عن التنمية والتطور وإشاعة أجواء المحبة والتعاون!

قد لا يصدق بعضهم وبخاصة من الجيل الجديد والشباب عموما بأننا لم نفكر أبداً بهذه الامور رغم الحرب الأهلية، ولحد الآن لا أعرف انتماء بعض الأصدقاء، وبالتأكيد كان الصحفي البارع أحمد البوسطة سيضحك لو سألته عن هذا الامر.

عاش الكاتب احمد البوسطة كل أيام عمره شخصاً طيب القلب بسيطاً متواضعاً مليئاً بالمحبة للآخرين، لم يلعب بوقته، يقرأ كثيرا، ثاقب النظرة، سديد الرأي، وطنياً بحرينياً وعربياً حتى النخاع، محباً للبحرين ووطنه العربي الكبير في كل شئ: الرياضة في الدول العربية وفي بلده البحرين حيث كان يلعب في فريق كرة القدم للشباب كما اتذكر، والمسرح والرواية، حيث كان معجبا بالكاتب عبدالله خليفة، وكان سببا في ان أتعرف على نتاجاته فيما بعد وان اكتب عن أعماله وبالذات رواية "الأقلف".

والأكلات البحرينية كان أحمد البوسطة أيضا يفتخر بها ولم ينس حتى ان يحدثنا عن أكلة المجبوس البحرينية وأصر ان نأكلها ونحن في منزل الطلبة فما كان من زميلينا الطيب شوقي الحسن هو والصديق يوسف فاخر إلا أن تطوعا لإعداد هذه الطبخة، وافترشنا الارض لنأكلها بأيادينا على الطريقة البحرينية والعربية مستمتعين بالاجواء.

كان الراحل احمد البوسطة يتحدث عن كل هذه الموضوعات، وكان متقد الحماس إيجابيا بكل معنى الكلمة ترك لدينا في مدينة فارونيج انطباعا جميلاً رغم قصر مدة بقائه فيها حيث غادرها متجها للدراسة في لينينغراد /سانت بطرسبورغ! وبقي كذلك كما عهدته لم يعرف الإحباط حتى في أحلك ظروف مرضه الأخيرة، يتحدث معي بالتلفون وكأنه لايعاني من شيء، سرد لي قصته مع المرض كلها منذ البداية قبل عدة سنوات وبكل تفاصيلها وإهماله للأدوية ما ادى الى تفاقم الامر، وكأنه يتكلم عن موضوع عادي للغاية، وأن اموره ماشية الان، لدرجة أني اندهشت! لكني فهمت من الأخت العزيزة رفيقة دربه أم فهد عكس ذلك. وهنا لابد من توجيه التحية لأم فهد التي سهرت عليه الليالي. لا أزال حتى يومنا هذا أتذكر آخر محادثة تلفونية معه كان فعلا متفائلا ووعدته بأن أزوره وفرح جدا بحيث سألني، "صج؟ بتجينا؟ يا ريت والله".

لكن "كورونا" قضت على "مراجلنا" وجعلتنا "نكرص" بمنازلنا! آخر مرة أردت أن أتحدث مع الصديق الراحل كانت عندما رقد بالمستشفى، واخبرتني أم فهد بأنه نائم، فتحدثنا سوية وتألمت كثيراً لأني لم أسمع صوته وأحاديثه الشيقة، وشعرت بالغصة والألم لكني لم أفصح عن مشاعري لها كي لا ازيد عليها متاعبها وشقائها.

التقيته للمرة الأخيرة هو وزميلنا الصديق العزيز شوقي الحسن في البحرين في فترة إصدار جريدة "الوقت" وكنت أشعر بوضعه غير المستقر ومع ذلك كان مواصلا ومجدا في عمله وكتاباته الرائعة!

وبفضل أحمد البوسطة وتشجيعه كتبت في صحيفة "الأيام" في التسعينات ومن بعدها "الوقت"، هكذا كان احمد البوسطة إيجابيا متفائلا محبا للبناء والخير والآخرين، فوقف معه في محنته الأخيرة ومرضه كل أصدقائه ورفاقه وبالذات الأطباء الذين تضامنوا وتعاطفوا معه، هبوا من كل حدب وصوب للمساعدة في حالته المرضية لأنه كان إنسانا بكل معنى الكلمة قبل كل شئ.

أتذكر انه كتب مقالا بعنوان "إنقاذ ما يمكن انقاذه" عن سقوط الاتحاد السوفييتي، وهو كعادته لم يرغب بالخراب اليباب لهذا البلد الذي درس وتعلم وتعلّق به وربطته بناسه وشائج كثيرة، فكان يتعامل مع الحدث أيضًا من ناحية إنسانية وسياسية لأنه يشكل خطرا كبيرا على الوضع السياسي في كل العالم.

اتذكر اني اتصلت به وقلت له مماحكا ممازحا إياه : «خلاص عيني احمد انتهى كل شي! يا إنقاذ ما يمكن انقاذه يا بطيخ». صار يضحك كعادته وكنت اتصوره وانا أمسك سماعة التلفون مبتسما ابتسامته التي تعودنا عليها عندما يصغي إلى الآخرين والتي لم تفارقه حتى في آخر أيامه!

وداعا يا صاحب الفكر الجديد والقلم العتيد!

وداعا أيها البحريني الجميل!

وداعا يا أبا فهد الأصيل!

* كاتب من العراق

دراسة تحليلية حول سوق العمل في البحرين»*

أثر التصريح المرن وتداعياته الاقتصادية

ما نود التطرق إليه في البداية:

ـ يجب ان لا يفهم أننا ضد وجود العمالة الأجنبية الوافدة فوجودها بالحجم المقبول لا يتعارض ابداً مع الجهود التنموية للبحرين.
ـ كما لا يمكن التخلص منها بشكل كامل، وتقليلها أوخفضها بشكل كبير يحتاج الى قرار ووقت.
ـ ما يزعجنا حقا هو الأعداد المخيفة والمتزايدة ووضعها غير الشرعي في بعض الأحيان، والذي سيكون له ضرر كبير على العمالة الوطنية والاقتصاد الوطني. ولهذا مع العمالة غير القانونية فإنه من الصعب تحقيق النمو والازدهار والاستقرار الاقتصادي الذي تنشده البحرين.
ـ كمواطنين نريد سوقاً وعملا مستقراً يترجم الاستراتيجية الوطنية ويخدم في الاساس العمالة الوطنية، يخلق فرص عمل للمواطنين برواتب وأجور تتناسب والمستوى المعيشي في البحرين.

د.جعفر الصائغ

* تنشر «التقدمي» هذه الدراسة بالتنسيق مع جمعية الشفافية البحرينية

ثانياً: أهمية سوق العمل في التنمية

تعتبر مؤشرات سوق العمل من أهم المؤشرات الاقتصادية التي يعتمد عليها الباحثون ومتخذي القرار الاقتصادي، فهي تعكس تطور ونمو واستقرار الاقتصاد الوطني. فمن خلال هذه المؤشرات يمكننا معرفة الإنتاجية والتشغيل والبطالة ومستوى الأجور، ومدى ملاءمة وفعالية النظام التعليمي والسياسات الاقتصادية والمالية وكذلك الهجرة وأسبابها. كما تكمن أهمية بيانات سوق العمل في استخدامها في رسم السياسات والتخطيط الاقتصادي والتنمية البشرية، وبالتالي توجيه ومراجعة الاستراتيجيات العامة للدولة على مستوى الاقتصاد الكلي والجزئي. إضافة إلى أهميتها في دراسة وتحليل العلاقات المتبادلة بين المتغيرات السكانية والعمل وبين المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية. فعندما ينمو الاقتصاد ويزدهر ويؤدي إلى حركة تجارية نشطة، سينعكس ذلك على سوق العمل حيث سيرتفع الطلب على العمالة المحلية وترتفع الأجور، وفي حالة عدم قدرتها على تلبية حاجات السوق سيلجأ أرباب العمل إلى العمالة الأجنبية لتغطية العجز. والعكس صحيح تماماً فعندما ينخفض معدل النمو الاقتصادي أو في حالة الركود سينخفض الطلب على العمالة وتبدأ الوحدات الإنتاجية بتسريح العمالة الفائضة. إن استقرار سوق العمل يعني نجاح السياسات الاقتصادية الكلية والقطاعية كالتعليم والتوظيف والمستوى المعيشي للمجتمع.

ولأجل كل هذا يتطلب توفير بيانات دقيقة وتفصيلية عن السكان وسوق العمل وخاصة فيما يتعلق بالطلب والعرض. إن هذه البيانات الدقيقة يجب أن تكون قادرة على تفسير التغيرات والتطورات التي يشهدها سوق العمل. فعلى سبيل المثال عندما تستمر العمالة الأجنبية في الارتفاع وأصبحت تشكل نسبة عالية من إجمالي القوى العاملة، وتنمو بمعدل غير طبيعي، بينما الاقتصاد يعاني من شح في السيولة وركود اقتصادي عندها قد نتساءل عن الأسباب الحقيقية لهذا الارتفاع الهائل وما علاقته بسياسة التعليم ورؤية البحرين المستقبلية 2030 وبالجهود التي تبذلها الدولة لبحرنة الوظائف؟ وأيضا عندما يفشل الباحثون عن عمل في الحصول على الوظائف التي تتناسب وتخصصاتهم العلمية فقد يحتاج الأمر إلى تفسير يقبله العقل، لأن هذه مشكلة لا تتعلق بسوق العمل فحسب بل قد تعني فشل سياسة التعليم وإهدار للمال العام.

المسئولين في سوق العمل يقولون أن «عدد العمال الموجودين في البحرين يتناسب طرديا مع السجلات التجارية»، والتي وصل عددها إلى أكثر من 82 ألف سجل، ولكن هل عدد السجلات التجارية تتناسب طرديا مع حجم النشاط التجاري؟ بمعنى آخر هل كل السجلات فعالة ونشطة أم أن كثير منها تستخدم فقط كوسيلة لدخول العمالة الوافدة؟ وعندما يصرح أحد المسئولين في هيئة تنظيم سوق العمل ويقول هدفنا هو «أن يتحول المواطن من موظف أو من باحث عن عمل الى صاحب عمل وتاجر وان يوفر الوظائف لغيره، وبالتالي عملية العمالة الوافدة مرتبطة ببعضها البعض»، ولو تفحصنا في بيانات ومؤشرات سوق العمل نجد أن هذه البيانات لا تترجم هذا الطموح وهذا الهدف الاستراتيجي، فالواقع عكس ذلك تماماً حيث العمالة الوافدة هي التي تحولت إلى تجار ومستثمرين وأصحاب المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وهي التي يستجديها المواطن لتوظيفه. هذه العمالة التي لا تزال احتراماً ومجاملة تنادي البحريني «بالأرباب» ، هي في الواقع أسياد السوق وكبار رجال الأعمال يهيمنون على قطاع واسع من المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الصناعة والتجارة والخدمات والمقاولات وتجارة التجزئة والجملة.

ثانياً: أهداف سياسة سوق العمل

من خلال رؤية وزارة العمل فهي تعمل على تقديم خدمات عمالية واجتماعية والعمل على تحقيق أهداف التنمية المستدامة وفق أعلى المعايير العالمية.

اما بالنسبة لهيئة تنظيم سوق العمل فهي تعمل في نسق متكامل مع مجموعة من وزارات ومؤسسات الدولة مستندة في بناء استراتيجيتها على خطة عمل الحكومة والخطة الاقتصادية لمملكة البحرين من أجل ضمان تقديم خدمة مميزة تسهم في نمو الاقتصاد المحلي بشكل مباشر.

يتبع

ضرورة اصلاح سوق العمل
وإيجاد الحلول الناجعة لتطبيق استراتيجية بحرنة الوظائف

ومن الاهداف الاخرى أن يتحول المواطن من موظف او من باحث عن عمل الى صاحب عمل الى تاجر وان يوفر الوظائف لغيره.

ثالثاً: الرؤية الاقتصادية المستقبلية ٢٠٣٠

ما يمكن استنتاجه هو ان القائمون على تنظيم سوق العمل يعملون ضمن الاستراتيجية الاقتصادية للبحرين ورؤيتها المستقبلية 2030 والتي ترتكز على ثلاث مبادئ هي: الاستدامة، والعدالة، والتنافسية، أي :

1. أن تحقق البحرين قدرة تنافسية عالية في الاقتصاد العالمي، وتحقق زيادة الإنتاجية بشكل طبيعي أكثر في ظل مناخ تنافسي يدفع عجلة التنمية الاقتصادية، ويضاعف الأرباح، ويرفع مستويات الأجور.
2. الاستثمار في المواطن من خلال تعزيز وتطوير واستدامة الخدمات الحكومية في التعليم والصحة والخدمات الأخرى.

وطبقا للرؤية المستقبلية سوف تتأكد الحكومة من استفادة جميع المواطنين بشكل عادل من منافع النمو الاقتصادي من خلال ما يلي:

1) التأكد من أن النمو الاقتصادي يخلق فرص عمل ذات أجور متوسطة إلى مرتفعة لزيادة دخل جميع شرائح المجتمع.
2) تأمين المساواة، وتكافؤ الفرص للبحرينيين في سوق العمل من خلال مراجعة قوانين العمل، ونظام الهجرة.
3) مساعدة البحرينيين في الحصول على وظائف ذات أجور متوسطة إلى مرتفعة من خلال برامج الدعم والتدريب المتواصلين.

لقد بينت لنا الرؤية ان الأدوات الممكنة لقياس النجاح في سوق العمل هي :

- المعدل الإجمالي للإنتاجية، وحجم تدفقات.
- الاستثمار الأجنبي المباشر، ونسبتها من الناتج المحلي الإجمالي.
- عدد الفرص الوظيفية الجديدة ذات الأجور المتوسطة إلى العالية التي يشغلها المواطنون البحرينيون.

رابعاً: التصريح المرن

كنا ولعقود من الزمن نعاني من مشكلة العمالة السائبة التي كان يتراوح عددها ما بين 80 الف الى 100 الف عامل. وقد أقر الوزير بأن عدد المخالفين للأنظمة من العمالة الأجنبية قبل إقرار الفيزا المرنة عام 2017 كان يقارب من 100 ألف عامل.

هذه العمالة تقع غالبيتها ضحية تحايل مواطنين يستغلون ثغرات في قانون العمل وضعف الرقابة فيستقدمون عمالاً بتأشيرات ظاهرها من أجل العمل لدى المستقدم في شواغر وهمية في الغالب، وباطنها تسريح العمال ثم ربطهم بـ «أتاوات» سنوية.

وقد شوهت هذه الظاهرة الاقتصاد وساهمت في ارتفاع البطالة وأدت الى مشاكل اقتصادية عديدة حيث كانت تعمل في جميع القطاعات الاقتصادية.

وقبل تطبيق التصريح المرن صرح سعادة وزير العمل ورئيس اللجنة الحكومية لمعالجة مشكلة العمالة السائبة جميل حميدان " أن اللجنة تعكف حاليًّا على وضع صياغة خطة وطنية شاملة تمس جميع الجهات المعنية لمعالجة مشكلة العمالة السائبة، لافتاً الى أننا حالياً لسنا في أحسن حال، وهناك ثغرات كبيرة تشوب هذه القضية الشائكة".

اذن قرار التصريح المرن جاء ليصحح الخلل الموجود في سوق العمل والمتمثل في مشكلة العمالة السائبة والتي قال عنها سعادة الوزير بشجاعته المعهودة : « لقد فشلنا في علاج هذه المشكلة !! »

هنا دعونا نتساءل :

من كان المسئول عن العمالة السائبة؟

مشكلة بهذا الحجم وبهذا المستوى من الأضرار الاقتصادية هل أجريت دراسة حولها لمعرفة اسبابها والمستفيدين منها ؟ وهل اتخذت الاجراءات لمنع تكرارها؟

اتعرفون كم كان المسببون للعمالة السائبة يستفيدون مالياً؟

حسب ما جاء في الجرائد المحلية:

يحصل الكفيل (صاحب السجل) في المتوسط على 1450 ديناراً عن كل عامل لبقائه عامين في البحرين، وإذا رغب العامل في التمديد (وهذا ما يحدث غالباً) يقوم بدفع مبلغ 800 دينار (2116 دولاراً) من أجل تجديد بقائه لعامين آخرين. فلو استطاع كفيل أن يجلب 100 عامل «فري فيزا» (ويقال إن هناك من لديهم المئات منهم) فإنه يتقاضى منهم لأول مرة 145،000 دينارٍ بحريني (383،600 دولار أميركي) من دون أن يبذل جهداً، ومن دون أن يغطي هؤلاء العمال بالتأمين الصحي والقانوني. وإذا ما أراد هؤلاء المئة أن يواصلوا العمل لعامين آخرين فعليهم أن يدفعوا له مجدداً 80 ألف دينار (211،640 دولاراً أمريكيّاً).

ما هو التصريح المرن؟

تصدره هيئة تنظيم سوق العمل يمنح العامل حرية الإقامة في مملكة البحرين والعمل في أي وظيفة غير تخصصية دون كفيل لمدة سنة أو سنتين.

ما هي مميزات التصريح المرن؟

1) يمكن للعامل، العمل لحسابه الشخصي أو مع أي صاحب عمل على أساس تعاقدي لأي فترة من الزمن.
2) يمكنه العمل مع أكثر من صاحب عمل في ذات الوقت بدوام كامل أو جزئي.
3) يتمتع العامل حرية السفر والعودة طالما كانت إقامته صالحة.
4) سيكون لدى العامل إقامة مدة التصريح، بالإضافة إلى تأشيرة متعددة السفرات.

من يستطيع الحصول على التصريح المرن؟

1) العمال الوافدون ذوو تصاريح العمل الملغية.
2) العمال الوافدون ذوو تصاريح العمل المنتهية.
3) العمال الوافدون الذين لم يحصلوا على رواتبهم ولديهم قضية لدى المحكمة العمالية.

ومن خلال هذا المفهوم يمكن القول ان العامل الوافد يمكنه البقاء في البحرين لسنوات طويلة حتى وان كان سوق العمل ليس في حاجة إليه.

العائد المالي المتوقع من التصريح المرن:

كان من المتوقع أن تجني هيئة تنظيم سوق العمل إيرادات قدرها 56،112 مليون دينار خلال السنتين التاليتين بعد تدشين نظام تصريح العمل المرن.

وكانت الهيئة قالت إنها ستصدر 2000 تصريح عمل مرن شهرياً لمدة سنتين. ويسدد العامل الراغب في الاستفادة من التصريح رسوماً قدرها 449 ديناراً (1،190 دولار أمريكي) تشمل رسوم تصريح العمل ورسوم الرعاية الصحية وتأمين تذكرة سفر العودة ورسوم تمديد الإقامة.

كما يدفع العامل رسماً شهرياً قدره 30 ديناراً (80 دولار)، ليصل مجموع ما يدفعه العامل خلال سنتين 1،169 ديناراً. وبحساب المبلغ على السقف الأعلى لإصدار تصاريح العمل المرن شهرياً (2000 تصريح) يكون المبلغ الإجمالي للإيرادات المتوقعة لهيئة تنظيم سوق العمل حوالي 56،112 مليون دينار خلال سنتين أي ما يساوي 148،600،000 دولار أمريكي.

حسب البيانات الرسمية فإن الرسوم المحصلة من العمالة الأجنبية الموجودة في البحرين خلال عام 2019 قد بلغت 153 مليون دينار أي ما يساوي 405 مليون دولار أمريكي.

هل استطاع التصريح المرن القضاء على العمالة السائبة؟

لا طبعا مانراه هو مجرد شرعنة العمالة السائبة وبعضها الذين في وضع غير قانوني (منتهية اقامته).

فالوزارة وكما صرح سعادة الوزير «فشلت في احتواء مشكلة العمالة السائبة» وبذلك أوجدت الفيزة المرنة ليس كحل للعمالة السائبة وإنما للاستفادة المالية من وجود هذه العمالة.

يتبع

نعتقد إن الفيزا المرنة هي كارثة على سوق العمل والاقتصاد الوطني ولا ارى اية جدوى حقيقية لها.

ان لم يتم توقيف الفيزا المرنة فان الفوضى التي سببتها العمالة السائبة سوف تستمر وسوف تهدد استقرار سوق العمل والاقتصاد الوطني وأرتفاع أعداد البطالة وزيادة في عدد السكان مما سيرهق منظومة الخدمات العامة في البلد وبشكل سيكون صعب تحمل كلفته الاقتصادية.

خامساً: أهم نتائج التصريح المرن :

1) هذه العمالة هي في الواقع عمالة فائضة لا يحتاجها سوق العمل حيث لم يعد صاحب عملهم في حاجة لهم، فبدلا من ان تلغى تأشيرتهم ويغادروا البلد تم منحهم تأشيرة وإقامة مرة أخرى.

2) هذه العمالة السائبة والتي كانت تحرك الاقتصاد الخفي (عمالة غير مهيكلة، وغير قانونية) قد تحولت الى عمالة شرعية قانونية وبدون كفيل وتمارس نفس الاعمال والمشاريع التجارية غير المشروعة والتي كانت تمارسها في السابق وهي في وضعها غير القانوني.

3) ان عدد هذه العمالة في ارتفاع مستمر ويتضاعف سنويا مما يعني ان الاقتصاد الأسود قد ينمو بمعدلات مخيفة جدا، حيث ان هذه العمالة قد اقتحمت كل المهن والحرف والقطاعات.

4) وتشير البيانات إلى إن عدد العمالة الوافدة قد شهد ارتفاعا كبيرا خلال العشر سنوات الماضية، حيث ارتفع من 331،000 عام 2006 الى 604،697 عام 2017 ثم الى 594،944 عاملاً عام 2019. وقد انعكس ذلك على عدد السكان غير البحرينين حيث ارتفع عددهم من 404،013 عام 2005 الى 823،610 عام 2017.

5) بخلاف زمن العمالة السائبة من الممكن الان معرفة وقياس حجم الاقتصاد الأسود فلدى هيئة تنظيم سوق العمل كل البيانات التفصيلية عن عدد ووظائف العمالة الوافدة وأنشطتهم الاقتصادية.

6) بهذا الوضع وبهذا النمو الكبير في العمالة الوافدة فقد يتفوق الاقتصاد الخفي بحجمه وأرقامه ونموه على الاقتصاد الرسمي خاصة وأن العاملين فيه وهم بأعداد هائلة يمارسون تجارتهم الغير مشروعة بكل حرية وامان. لذا يجب الالتفات الى خطورة هذا الوضع الخطير على العمالة الوطنية واستقرار الاقتصاد الوطني.

7) ارتفعت التحويلات المالية للعمال الأجانب في البحرين لخارج البلاد إلى نحو 927،2 مليون دينار (2.5 مليار دولار) في العام 2017، أي ارتفعت في العام 2017 بنسبة 3.11 ٪ مقارنة مع العام 2016 والتي بلغت فيه نحو 899 مليون دينار. وقفزت إلى نحو 1.22 مليار دينار (3.3 مليار دولار)- في العام 2018، بحسب إحصاءات رسمية حديثة. ولأول مرة في تاريخ البحرين تتخطى التحويلات الخارجية عتبة المليار دولار بمستوى جديد غير مسبوق.

8) إن استمرار ارتفاع التحويلات المالية المرسلة للخارج سيكون له أبعاد خطيرة على الاقتصاد الوطني. فهي تمثل استنزافا للقدرات والثروة المالية الوطنية، وانخفاضا في دوران رأس المال داخل الاقتصاد مما يعني عدم اكتمال الدورة الاقتصادية لرؤوس الأموال التي يخلقها النشاط الاقتصادي، مما يترتب عليه ضعف في السيولة العامة وانخفاض في الأموال الاستثمارية التي قد تستخدم لتمويل المشاريع التنموية. وكذلك انخفاض في حجم الوعاء الضريبي للاقتصاد الوطني.

9) يمثل هذا المبلغ عبئاً ثقيلاً على مالية الدولة الخارجية لأنه يمتص 29٪ من الصادرات النفطية وبذلك يؤثر على الميزان التجاري.

10) يعادل المبلغ المحول من البحرين ثلاثة أرباع المرتبات والأجور التي يحصل عليها العمال الأجانب. بمعنى إنهم يكتفون بربع هذا المبلغ للعيش في البحرين وهذا أمر غير ممكن. ويبدو أيضاً أنهم يحولون مبالغ أخرى غير مذكورة في الميزان التجاري لأنها ببساطة لا تمر عبر القنوات المصرفية. وعلى هذا الأساس هنالك قناعة لدى البحرينيين بأن ما يصرح به العامل الأجنبي من أجور لا يمثل دخله الحقيقي. له إذن مصادر معيشية أخرى. وهذه مشكلة لا تقتصر على البحرين بل تشمل جميع دول مجلس التعاون.

11) يقترح بعض النواب فرض رسوم على هذه التحويلات والتي يمكنها دعم الميزانية بمبلغ 90 مليون دينار سنوياً (239 مليون دولار أمريكي).

خامساً: هل استطاع التصريح المرن ان يحقق هدف البحرنة؟

تكشف لنا البيانات التالية المنقولة من الموقع الالكتروني لهيئة سوق العمل حقيقتان في غاية الاهمية هما:

1.ان الاقتصاد الوطني يخلق فرص عمل جيدة في مختلف القطاعات وبرواتب جيدة.

2. غالبية هذه الوظائف تذهب الى العمالة الوافدة.

حسب بيانات سوق العمل استطاع الاقتصاد الوطني

ـ أن يوفر 340 وظيفة برواتب أكثر من 1500 دينار في الربع الثاني من 2019 حصلت العمالة الوافدة على 324 منها في مقابل 16 بحريني فقط.

ـ وأن هناك 207 وظيفة برواتب تصل الى 1000 دينار كان نصيب البحرينيين منها 21 فقط بينما حصلت العمالة الوافدة على 186.

ـ رواتب من 900 دينار وأعلى وفرت 42 وظيفة 38 منها للعمالة الوافدة في مقابل 4 بحرينيين.

ـ رواتب من 800 وأكثر وفرت 84 وظيفة 70 منها للعمالة الوافدة مقابل 14 للبحرينيين.

ـ والرواتب من 700 دينار وأكثر وفرت 119 وظيفة حصلت العمالة الوافدة على 83 مقابل 36 للبحرينيين.

ـ والرواتب من 600 دينار وأكثر وفرت 155 وظيفة 108 منها للعمالة الوافدة مقابل 47 للبحرينيين.

ـ والرواتب من 500 دينار فأعلى وفرت 283 وظيفة 176 منها للعمالة الوافدة مقابل 107 للبحرينيين.

ـ والرواتب من 400 فأكثرت وفرت 469 وظيفة منها 410 للعمالة الوافدة مقابل 59 للبحرينيين.

الخلاصة:

هذه الدراسة وهذه البيانات تؤكد لنا حقيقتان جوهريتان وهما :

1. عدم قدرة سوق العمل على تحفيز الإنتاجية وتنمية المهارات الوطنية. وتقليص حوالات العمالة الأجنبية للخارج.

2. ليس هناك علاقة بتكوين رأس المال مع حجم التوظيف للعمالة المحلية.

3. إن الاقتصاد الوطني يخلق فرص عمل وبرواتب جيدة ولكن المشكلة تكمن في كيفية توزيع هذه الفرص حيث أغلبها تذهب للعمالة الوافدة.

4.إن بقاء هذه المشكلة من دون معالجة جذرية ستجعل من سوق العمل سوقا مشوها وغير مستقر.

5. إنه ولغرض إصلاح الاختلالات في سوق العمل وضبط تدفق العمالة الوافدة فإن سياسة توسعة الاقتصاد المحلي وزيادة الاستثمارات الخاصة قد لا تكون مجدية عندما يكون سبب الاختلالات هو السياسة العمالية.

6. حيث أنه قد يكون الاقتصاد قادراً على خلق الكثير من فرص العمل إلا أن المشكلة قد تكمن في أن هذه الفرص تذهب غالبيتها للعمالة الوافدة والتي يجب ان يكون دورها محصور في ملئ الوظائف الشاغرة التي تعجز العمالة الوطنية عن ملئها.

7. ضرورة اصلاح سوق العمل وإيجاد الحلول الناجعة لتطبيق استراتيجيات بحرنة الوظائف وافضلية المواطن البحريني في التوظيف وضرورة قَصر بعض المهن والوظائف على المواطنين سواء في القطاع العام او الخاص.

8. لقد أصبح الهيكل الحالي في سوق العمل لا يتناسب ورؤية البحرين المستقبلية حيث يعتريه تشوهات سببها هيمنة العمالة الأجنبية على حاضر ومستقبل فرص العمل وبالتالي الاستقرار الاقتصادي، فالبحرين تطمح من خلال رؤيتها المستقبلية لتحويل اقتصادها من الريادة إقليمياً إلى المنافسة عالمياً. وهذا سيكون من خلال زيادة الإنتاجية مع وجود مواطنين يمتلكون المهارات والإمكانيات المناسبة لكل وظيفة يعملون فيها.

إن محور رؤيتنا المستقبلية هو الاستثمار في المواطن من خلال تعزيز وتطوير واستدامة الخدمات الحكومية في التعليم والصحة والخدمات الأخرى. ولذلك لابد من السعي لتطوير والحفاظ على العمالة الوطنية وإستقرارها لأنها ركيزة استقرار سوق العمل ومصدر نمو وازدهار اقتصادنا الوطني.

(قف)

العنصرية وكورونا والانتخابات الرئاسية الأمريكية القادمة

فهد المضحكي

الاضطرابات في الولايات المتحدة بعد مقتل الأمريكي من أصول إفريقية جورج فلويد تكشف عن التفاوت الاجتماعي العميق داخل المجتمع.

خبراء يعتقدون أن الرئيس ترامب يستغل الاحتياجات لمصلحته في الانتخابات المقبلة وقد ينجح في ذلك. جاء في تحليل لموقع (DW)، حيث انغمست الولايات المتحدة في موجة عنف من كاليفورنيا إلى نيويورك ومن مينابولس إلى الساحل في تكساس؛ وفي أكثر من٥٧ مدينة وقعت صدامات قوية.

الشرارة التي أثارت هذه الاضطرابات هي الموت العنيف لفلويد الذي قتل على أثر تدخل الشرطة من مينابولس. حالة مأساوية لكنها ليست استثنائية في العلاقة مع عنف الشرطة العنصري، وكلمات فلويد الأخيرة "لا أستطيع التنفس" باتت شعار حركة احتجاج على مستوى البلاد لم تشهدها أمريكا منذ عقود من الزمن. الغضب والعنف عوض الحزن والسخط.

الوفاة المأساوية لفلويد تغذي جدلاً مبدئياً حول الانقسام الاجتماعي في الولايات المتحدة الأمريكية، وأزمة كورونا تبدو في هذا الإطار مثل مادة مشتعلة تكشف عدم المساواة في المجتمع الأمريكي بشكل أكبر من ذي قبل. ومن لم تكن له وظيفة محترمة قبل تفجر الوباء وتأمين صحي معقول ودعامة مادية فقد كان معرضاً بلا حماية لفتك الفيروس. وبنسبة أعلى يطال هذا في الغالب السود والأمريكيين من أصول لاتينية، وليست فقط نسبة العدوى والوفاة عالية بينهم، فهم العمال البسطاء الذين فقدوا وظائفهم وغالبية الطبقة الوسطى من البيض انتقلت في غالبية الحالات إلى العمل من المنزل وفي الغالب براتب كامل. وبدون هوادة يكشف الوباء عن التفاوت الاجتماعي في أمريكا.

"اعتقد ان البلاد تواجه أصعب أزمة من الحرب العالمية الثانية " يقول المحلل السياسي الألماني المتخصص في الشأن الأمريكي كريسبان هاكه، فمن جهة يوجد اليأس البين من العنصرية التي تتفجر مجدداً مع وفاة فلويد، ومن جهة أخرى هناك الانهيار الاقتصادي والمشاكل السياسة الداخلية للولايات المتحدة الأمريكية. وتضاف إلى ذلك بدون منازع تبعات فيروس كورونا التي تؤدي بعدد أكبر من الأمريكيين إلى اليأس. وفاة فلويد هي في النهاية شرارة أدت إلى احتراق جميع البلاد.

وتكشف الاحتجاجات ايضاً انه ليس فقط السود من يصرخون من اليأس، فمن بين غالبية المتظاهرين الشباب يوجد ايضاً أمريكيون بيض لهم مواقع مرموقة يشعرون على الأقل بنفس اليأس. أنهم يائسون من بلد لا يمنع عنف الشرطة والعنصرية، بل يترك لها المجال، هم يائسون من بلد برئيس مستفز وبدون بدائل سياسية.

"عندما تشاهدون جو بايدون (المرشح الديمقراطي) في التلفزة، فإنه يبدو عجوزاً ومكبلاً في قبوه. ويشعر المرء تقريباً بأنه لا يقدر على شيء فكرياً" يقول هاكه وفي النقيض يوجد الرئيس ترامب الذي يُصعّد الأزمة بتعصبه الأعمى، رئيس أمريكي لا يوحد، بل يقسم البلاد منذ توليه السلطة، ويناشد الغرائز، والاغتيال والاضطرابات تسرع تحوّل الحكم الأمريكي إلى كابوس أمريكي.

"إنها ليست ظاهرة جديدة، هذا الغضب المتفجر للأمريكيين" – هذا ما يقوله شخص عاش لسنوات في الولايات المتحدة الأمريكية وقام بحملة انتخابية لصالح باراك أوباما أنه بوليس فان دي لا، الذي قاد في 2007، و2008، الحملة الانتخابية للديمقراطيين وفي 2012، أدار مجال التعبئة الانتخابية في ولاية أوهايو الحاسمة في الانتخابات. ومنذ تلك اللحظة كان المجتمع منقسمًا وعنف الشرطة والعنصرية كانا مطروحين لكن نادراً ما تم توثيق التمييز ضد السود مثل اليوم.

الرئيس ترامب من جانبه يلعب بكل هذه الأوراق، ويعيش من تأليب الأمريكيين على بعضهم البعض. ترامب هو الرئيس الأول الذي يدرك أنه رئيس فئة معينة، وعوض أن يكون رئيس دولة لجميع الأمريكيين – سواء كانوا بيضاً او سوداً، فقراء أو اغنياء – فإنه يهتم في الأساس بالناخبين البيض الذين قد يساعدونه في نوفمبر القادم على تولي ولاية جديدة. باختصار " استراتيجية ترامب تكمن في بث بذور التفرقة!

"هناك شيء استثنائي يحدث في الولايات المتحدة في الوقت الحالي، نحن نتعامل هنا مع انفجار برميل من البارود"، بهذه الكلمات تحدث القاضي رومان هوريت، المؤرخ الأمريكي ومدير الدراسات في معهد الدراسات الاجتماعية العليا (EHESS) بباريس إلى فرانس 24.

يذكرنا أصل الحركة بل والحركة نفسها بأعمال الشغب التي أعقبت تبرئة أفراد الشرطة الذين اعتدوا بالضرب بوحشية على رودني كينغ في لوس انجلس، أو بالمظاهرات، في الماضي القريب التي تلت وفاة مايكل بروان عام 2014، في فيرجسون. ولكن كما يشير رومان هوريت، فإن ما يسجله التاريخ الآن في الولايات المتحدة غير مسبوق هذه المرة لجهة "سرعة الانتشار والحجم" والجمع بين المظاهرات السلمية والعنيفة في العديد من المدن وبهذه الطريقة".

لقد عاشت الولايات المتحدة مناخاً استقطابياً شديداً منذ انتخابات دونالد ترامب رئيساً للبلاد هو الذي كان يلعب بالنار لمدة ثلاث سنوات مستخدماً العبارات العنصرية ومحرضاً قسماً من السكان على الكراهية والعصيان، والصدمة التي اثارها عنف صور الاعتقال التي تظهر رجلاً ممداً على الأرض ويطلب أن يتاح له التنفس ثم ضابط الشرطة الذي يخنقه واضعاً ركبته على عنقه. كل ذلك وقع كالصاعقة على جزء كبير من الرأي العام، كانت هذه الصور التي انتشرت على نطاق واسع عبر شبكات التواصل الاجتماعي، بمثابة المسؤول الذي نزع فتيل المفجر.

تأتي وفاة جورج فلويد أيضاً في ذروة جائحة كوفيد 19، التي سلطت الضوء على أوجه التفاوت الكبير الموجود في الولايات المتحدة فالوباء قد ألحق أضراراً بالمجتمع الأمريكي الإفريقي سواء من حيث عدد الوفيات أو التأثير على الاقتصاد غير الرسمي الذي يسمح لجزء كبير من هؤلاء السكان بالبقاء أحياء.

ثمة من يقول إن تصريحات ترامب "العنصرية" التي صاحبتها تهديدات مباشرة للمواطنين الأمريكيين المحتجين في شوارع عدد لافت من الولايات، وعناد سياسي غير مسبوق في دولة ترفع راية الحرية والديمقراطية، كانت من الأسباب الرئيسية في مزيد من الإصرار على استمرارية التظاهرات في الشارع الأمريكي.

وبحسب تقارير إعلامية فإن تلك التظاهرات ربما تكون سبباً في تحطيم آمال الرئيس الأمريكي ومستقبله السياسي، لكن محللين اختلفوا مع تلك النظرية الدافعة نحو الهاوية وقالوا: إن كتلة ترامب "المتفقة معه في كافة مواقفه" لم تتزعزع رغم ما يحدث من تظاهرات.

حول الانتخابات الرئاسية الأمريكية في نوفمبر 2020 نعتقد أن الرئيس دونالد ترامب الآن في وضع سيء جداً، بالنظر إلى سوء إدارة ترامب في التعامل مع جائحة كورونا فقد تلقى الكثير من اللوم من معارضيه السياسيين في هذا الإطار لتأخر حكومته في اتخاذ الرد السريع المناسب والحاسم وحمّلوه مسؤولية ما وصلت إليه الولايات المتحدة من حيث عدد الإصابات والوفيات، وعندما نضيف الى ذلك الصورة التي شهدتها شوارع الولايات المتحدة الأمريكية من الاحتقان والمظاهرات والتي تخطت الحدود إلى دول وعواصم أخرى، كل تلك الأسباب مجتمعة ربما تعكس أثاراً سلبية بشكل شديد وكبير على فرصة ترامب في الظفر بولاية رئاسية ثانية.

شبح مهدي عامل في شوارع بيروت

هشام عقيل

((كلُّ مجلدٍ لماركس فتحناه،
كما لو كنا نفتحُ مصاريعَ بيوتنا،
واضحاً كان درسنا،
لم نحتاجَ إلى كتابٍ لنفهم أية معركةٍ سنخوضها،
ولم نرث من هيغل ديالكتيكنا،
بل قفز لنا في قلب المعركة بيتاً شعرياً
حين فرَّ البورجوازيّون أمامنا —
مثلما كنا نفر منهم يوماً!)) – مایاكوفسكي

ههنا ينقطع صمتنا، ههنا نعلن: مهما أردنا أن نترك وشأننا ترانا مضطرون للحديث، لا وبل في أمورٍ لا تعنينا! لكن تفرض الحركات الجماهيريّة أن نبدأ بالحياكة الذهنيّة؛ الأمر سهل، ثمة جماهير ضجت فانفجرت، ومع ذلك ترى جمهور المثقفين يضيع أمرهم، وينتفون كلّ خصلة من شعرهم، بغية أن يفسروا ما يدور حولهم. الحل، في نهاية المطاف، سهلٌ: لمَ الكتابة إن لم نكن نعرف ما الذي يحصل بالفعل؟ لماذا نقولُ، ثم ليضحَك – بعدها بأسابيع معدودة – التاريخ علينا؟

ولعلكَ ستقول بإن هذه المقالةَ مبكرة جداً؛ وربما، لا أدري يوماً؟، ستحسب هذه المقالة من الأمور غير الحكيمة التي قمت بها. لكن دع المخاطرة تأخذ مجراها، فهي ضروريّة — هناك أشياءٌ لا بد أن تقال. يقال بإننا، البحرينيّون، نحتفي مبكراً بقدوم فصل الشتاء، فنلبس المعاطف رغم أن الجو لا يزال حاراً: وهكذا نحن في السياسة، نحتفي سريعاً حالما تنفلت الجماهير في أيّة بقعةٍ على الأرض! ولستُ أنفي، بضرورة الحال، صعوبة المسألة التي تفتح لنفسها أمامي، خصوصاً أنني لستُ لبنانيّاً ولم أدعِ أبداً بأنني أفقه بخصوصيّات بلد مثل لبنان، ناهيك عن تحليل أوضاعَها ودروب حركتها! لذا لن يجري الكلام على سلسلة من حقائق ملموسة (رغم أنها تتضمنها)، لا لأنها غير متوفرة وحسب ولكن لأنها تحتاج إلى تحليلٍ فعليّ من قِبل المختصين في خصوصيّة لبنان، بقدر ما سيتقدم عبر فرضيّات معينة (وأعني بذلك فرضيّات تثبت نفسها نظريّاً في المقام الأول، لا عبر الحقائق الملموسة).

حين يقرأ المرء مهدي عامل، (الدولة الطائفيّة) أو (مدخل لنقض الفكر الطائفيّ)، يشعر بأن هذه الفرضيّات ستبرز على السطح كما لو كان على المرء أن يستحضرها في هيئة أشباحٍ وأطياف. الآن، لا أزعم بأن لدى مهدي عامل تحليلاً كافياً (أو استباقيّاً) لفهم التناقضات الحقيقيّة الموجودة في لبنان، ولكنها تُشكل مواقع حقيقيّة لدفع فرضيّات معينة لفهم هذه التناقضات. إذن هي: محاولةُ فهم، لا إطار يدّعي بأنه يفهم – وبشكل قبليّ – ما الذي يحصل بالضبط. هناك الكثيرُ من التاريخ قد حصل ما بين زمن مهدي عامل وزماننا، الكثير جداً! لهذا الحديث يجري مع أشباحٍ، لا هي تنتمي لزماننا ولا هي قادرة أن تعود لزمانها.

لنقابلَ، إذن، شبح مهدي عامل في شوارع بيروت!

لقد خرجت الجماهير اللبنانيّة، وبعددٍ لا يقل عن مليونيّن شخص تقريباً، لتحتل الشوارع وتطرح مطالباً تضرب المصالح المباشرة للطغمة الماليّة الكومبرادوريّة الحاكمة من جهة، والنظام السياسي القائم والذي يشكل امتداداً للنظام السياسيّ الطائفيّ التوافقيّ الذي أنشأ بعد الاستقلال السياسيّ للبنان القرن الماضي. لم تكرر الجماهير الكلام الإنشائيّ لمختلف المثقفين حول «الثقافة الطائفيّة» وما شابه ذلك، بل طرحت الأمور كما هي عليه: أن النظام الطائفيّ لهو نظامٌ سياسيّ ذا طابع طبقيّ في المقام الأول (لا ننسى تشديد الجماهير على ربط الحكم الطائفي بحكم "الملياردارية»)؛ الشكل التاريخيّ الملموس الذي شكلت البورجوازيّة الكولونياليّة اللبنانيّة حكمها الطبقيّ في لبنان. ولم تكتفِ الجماهير بذلك، بل طالبت بالإطاحة الكاملة لهذا النظام السياسيّ. إنّ الأزمة الاقتصاديّة، وتصاعد الديون، وبالتالي فرض إجراءات تعويضيّة مثل الضرائب على الطبقات الشعبيّة اللبنانيّة دفعت هذه الطبقات نحو ذلك. إن إنفجار غضب كهذا لم يأتِ دفعة واحدة، ولكنه يشكل ذروة التراكم هذا الذي بدأ منذ عامين تقريباً مع تقديم حكومة الحريري برنامج التقشف، كنتيجة «للإصلاحات الهيكلية» التي فرضها البنك الدولي عبر القروض الهائلة بهدف خفض عجز الموازنة (قروضٌ تصل إلى 11.6 مليار دولار)، بما إن الدين العام تجاوز 150٪ تقريباً من الناتج المحليّ. أما نقطة الإنفجار كانت: اقتراح فرض ضريبة بمقدار 20 سنتاً لليوم على المكالمات الصوتيّة في مختلف التطبيقات، وأهمها الواتساب.

أنا أذكرُ الأرقام والحقائق لندفع كل من يشكّك في نزاهة هذه الحركات إلى زاوية حرجة؛ كي نُشهر في أعين كل المشكّكين الذي يسمّون هذه الإنتفاضات بمختلف التسمّيات الدنيئة (ثورة الفودكا، ثورة الراقصات إلخ) لأغراض نعلمها جميعاً؛ نحن نعلمُ من يخاف الشعب اللبنانيّ، من يريد أن يمنعه أن يغني مع رامبو:

لم يعد الشعب عاهرة أي أحد
ثلاثُ خطواتٍ فأسقطنا باستيلًكم إلى الأرض...
شُحبت وجوهنا في غمرة نشوة آمال مرعبة،
وهناك أمام السجون السوداء
شهرنا بالأبواق وأغصان البلوط
والسلاح في القبضة؛ لكن أشعرنا بالكراهيّةِ؟
لا!
قوّتنا المفرطة دفعتنا نحو الدماثةِ!

بشجاعةٍ انتفضت الجماهير، المكونة من طبقات شعبيّة مختلفة (مثل العمال والموظفين وأصحاب العمل الصغار)، وقوى اجتماعيّة متعدّدة (وربما أهمهم المثقفون والطلبة)، وشتى أنواع الحركات الاجتماعيّة. ولم يكن هناك تنازلاً لم يقدمه الحريري وحكومته للجماهير: اقترحوا ميزانيّة جديدة لا تتضمن أيّة ضرائب اضافية (مع خفض 50٪ من رواتب الوزراء والرؤساء والنواب الحاليين والسابقين)، ثم بدأوا يصيحون بإسم التعاون والتضحية «من أجل الوطن»، ولما ذهبت كل هذه المحاولات سدى ظل الحريري يصيحُ مثل المرابي شايلوك: «ماذا سأصنع من منزلي حين تريدون منعي من أموالي؟ لن تكون لي حياة دون أموالي!». لكن مع ذلك أصرّت الجماهير على البقاء في الشوارع، مرددة: «كُلهن يعني كُلهن» رغم استقالة عدد من الوزراء. لا حل، تقول الجماهير، دون استقالة تامة للحكومة القائمة.

أولاً نخوض معركة جادة، ثم نرى ما سيحصل، هكذا قررت الجماهير اللبنانيّة بشجاعةٍ أن تواجه قوات الشغب، والحكومة، والجيش، وميليشيات حزب الله. لكن اتسائل ما إذا كان مهدي عامل سيقول شيئاً كالتالي على شكل تحذيرٍ للجماهير [On s'engage et puis، on voit

يتبع

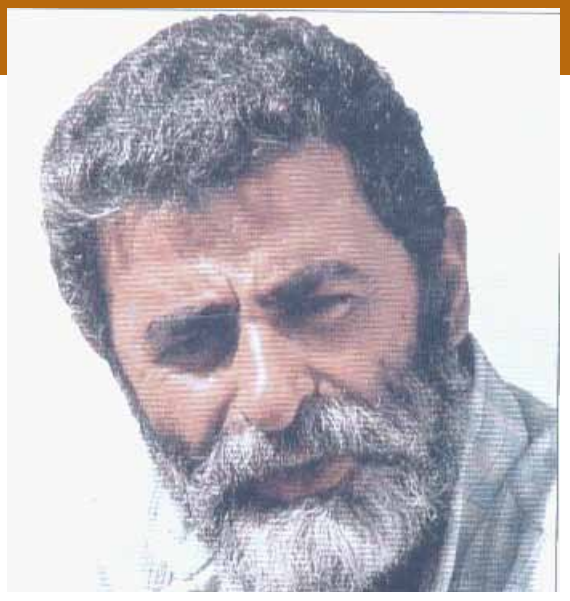

اللبنانيّة: صحيح أن الدولة الطائفيّة، بمعنى النظام السياسيّ الطائفيّ، هي الشكل الملموس للدولة البورجوازيّة اللبنانيّة، لكننا ألن نؤبد السيطرة الطبقيّة البورجوازيّة إذا التزمنا بشعارات مثل: المساواة ما بين الطوائف، وتذويب الفروقات، والمواطنة المتساوية، إلخ؟ رغم أنها مهمة جداً ولا غنى عنها. ألن نؤبد هذه السيطرة الطبقيّة إذا التزمنا بتغيير النظام السياسيّ وحسب؟ ولعمري، ستصيحُ الأقسام المهيمنة وغير المهيمنة من البورجوازيّة وتغني:»كُلهن يعني كُلهن» مع الجماهير إذا وصلت أزمة الدولة إلى حدود قصوى!

بوضوح يمكننا نرى كيف أثّر الصراع الطبقيّ الجماهيريّ في تفعيل أزمة الدولة البورجوازيّة، وبالتالي أظهرت تناقضاتها الملموسة على السطح. لكن لنحمل الأمور إلى إستنتاجاتها المنطقيّة دون أن نسقط في حماس أعمى: إذا وصلت الدولة الرأسمالية إلى أزمة حادة جداً لن نستغرب تقدمها على التضحية بالشخوص القائمين في النظام السياسيّ ككل، أعني كل الذين يحتلون المواقع العليا في الجهاز السياسيّ للدولة — دون تغيير النظام السياسيّ الطائفيّ نفسه، أو بتقديم ما سماه مهدي عامل قديماً باحتماليّة «إصلاح طائفيّ» في النظام الطائفيّ نفسه.

أنا أحملُ الأمور إلى هذا الحد كي أبيّن إلى أي مدى إقامة التماثل ما بين النظام السياسيّ الطائفيّ و»الملياردارية» أمر صحيح وغير صحيح في مثل الوقت. هو صحيحٌ في الحدود التي نقول فيها بإن الدولة البورجوازيّة اللبنانيّة أتخذت الشكل الطائفيّ لنظامها السياسيّ، ولكن غير صحيح في حال افترضنا بأن هذه البورجوازيّة هي كتلةٌ واحدة دون أيّة تناقضات حقيقيّة بينها (لا اقتصاديّة وحسب، بل سياسيّة ايضاً). إن هذه الفكرة تفترض، بشكل ضمني، بأن القضاء على الحكومة الراهنة، أو بشكل أكثر راديكاليّة: القضاء على النظام السياسيّ الطائفيّ كليّاً، سيكون كافياً للقضاء على حكم "الملياردارية" الطبقيّ. في هذا الافتراض ننسى إمكانيّة أو احتماليّة إنقسام البورجوازيّة نفسها على نحو قسمين سياسيين مختلفين (لا أستطيعُ، ولا في مقدوري، تحديد هذه المسألة بشكل قبليّ هكذا: ولكن أمن الممكن أن يكون ما بين قسم طائفيّ تقليديّ وبين قسم إصلاحيّ–طائفيّ؟ كما إن علينا ألا ننسى بأن ثمة أقسام بورجوازيّة غير مهيمنة تدعو إلى دولة غير–طائفيّة إطلاقاً — رغم أنها غير قوّية كقسم طبقيّ)، وهذين القسمين سيكونا كافيين لإقامة خطوط الفرق الطبقيّ ما بينهما (ما دمنا نفترض، مع ماركس، بأن تحديد الأقسام لا يعتمد فقط على المحدد الاقتصاديّ بل على السياسة ايضاً). فالوضع الحاليّ لا يطاق بالنسبة إلى بعض أقسام البورجوازيّة اللبنانيّة، ولن نستغرب (وتقول الشواهد على ذلك) حضور بعضها مع الجماهير في حركتها.

هذا الإفتراض سيشل أيّة حركة فعليّة لضرب قلب الدولة، لأنه يفترض بأن للبورجوازيّة اللبنانيّة ورقة واحدة (بما إنها طبقة متماثلة بشكل موحد!)، وبالتالي المواجهة تكون وجهاً لوجه: الجماهير من جهة، حكومة "الملياردارية" الفاسدة من جهة اخرى. لكن ما ابعد ذلك عن الواقع! دعنا لا ننسى بأن الحكم الطبقيّ للبورجوازيّة اللبنانيّة هو شيء، والقسم الكومبرادوريّ الماليّ المهيمن هو شيء آخر (رغم أنه يقوم على الأول)؛ ولما كان القسم المحليّ للبورجوازيّة هذه ضعيفاً فلن يكون في مقدورهِ أن يقود الحال إلى أزمة هيمنة طبقيّة، ولكن أهناك ما يمنعنا أن نظن بأن القسم الكومبرادوريّ المهيمن لن يقوم بعملية تطهير ذاتيّة لإنقاذ نفسه من الورطة؟ لذا، الورقة الأولى، والأساسيّة، في يد هذه البورجوازيّة لن تكون القمع الماديّ الشامل للجماهير اللبنانيّة، بل التغيير الحكوميّ الماديّ في الجهاز السياسي نفسه (الشخوص على رأس الجهاز السياسيّ للدولة) —لإنقاذ الدولة من أزمتها.

لكن، مرة اخرى، لا يمكن ابداً التكهن بتحركات الجماهير اللبنانيّة التي قد لا ترضخ لهذا النوع من الرشوة السياسيّة (وإلى حد الآن، نجد الجماهير اللبنانيّة مستنيرة بما فيه الكفاية بشكل يمنعها من الإنجرار وراء الرشاوي السياسيّة التي قدمت لها)، لذا – وفقط عند هذه الحالة – ستلجأ الدولة إلى قمع ماديّ واسع لهذه الجماهير؛ لا بالضرورة عبر الجيش، وقوات الشغب فقط، بل ايضاً عبر شبكات الدولة البورجوازيّة الموازية التي تتجاوز حدود الدولة نفسها؛ وهي تتجسد في ميليشيات حزب الله التي تشكل سداً منيعاً لأي تحول حقيقيّ في النظام السياسيّ الطائفيّ، وجهاز ثورة–مضادة في المقام الأول. ولا داعٍ لأذكركم بأن في الحالات القصوى، هناك دائماً هامش بسيط ومستبعد جداً لردة فعل ديكتاتوريّة عسكريّة إذا دفعت التحركات هذه الدولة نحو أزمة لا رجعة منها.

أفهمُ أشكال تفعيل أزمة الدولة البورجوازيّة اللبنانيّة بمعنيين. الأول، لا بد أن نفهم بأن النظام السياسيّ، بما إنه طائفيّ بالمعنى «المواطنة السياسيّة» للكلمة (ايّ بالمعنى الآيديولوجيّ–الحقوقيّ)، صار يواجه صعوبة في فرض قبول ايديولوجيّ له، حيث تتعامل الجماهير اللبنانيّة لأول مرة مع أنفسها كـ «جمهور» (وأعني بذلك: Multitudo، كما جاء عند سبينوزا) لا كتحالف ما بين طوائف، ولا حتى توافقاً ما بين طوائف! في غضون عشرة أيام فضحت الجماهير اللبنانيّة الخديعة الآيديولوجيّة التي لعبتها البورجوازيّة اللبنانيّة لسبعة عقود منذ ميشال شيحا إلى يومنا هذا! أهناك عبقريّة خلاقة أكثر من هذه؟ عند هذا الحد سيرتجف كل المثقفين الذين يخافون «عفوية» الجماهير.

لكن دعونا لا ننسى بأن مثل هذه النقطة قد تشكل موضع الآيديولوجيا البورجوازيّة التي تأمل في حل غير–طائفيّ (ايّ نظام سياسيّ غير–طائفيّ، أو ما سماه مهدي عامل بالـ «حل الوهمي») للدولة البورجوازيّة اللبنانيّة، أو لنقل: دولة بورجوازيّة غير طائفيّة. كما إن هذا الموقف الآيديولوجيّ، الذي يبقى إيجابيّاً في حدود مناهضته للنظام الطائفيّ، قد يستعمل بطريقة عكسيّة لتغييب كل الفروقات والتناقضات ما بين الطبقات التي تكّون الجماهير نفسها؛ مثلاً، أليس ذلك أمراً عوارضيّاً حين لا نسمع أيّة كلمة حول الإضراب العماليّ في لبنان، ايّ دور الطبقة العاملة (كطبقة عاملة) في هذا الحراك؟ إن تغييب هذه التناقضات (تحت أسم «الشعب») ايضاً يغيّب تعيين القوّى الطبقيّة القائدة والقوى الرئيسيّة، إلخ.

يتبع

يتبع

أما المعنى الثاني، فهو يرتبط أساساً بالأشكال الملموسة التي تظهر بها أزمة الدولة هذه وهي التناقضات الظاهرة والمخفيّة ما بين أجهزة الدولة وداخل كل جهاز على حده. أنا على قناعة عامة، لئلا أقولُ تامة فأسقط في الإطلاق دون أيّة حقائق ملموسة باليد، بأن نجاح الحركة الجماهيريّة اللبنانيّة تعتمد أساساً على مدى إنعزالها وارتباطها ببعض أقسام أجهزة الدولة القائمة. هاكم مثال: أن وجود الجماهير هكذا في الشارع، معرضين أنفسهم (وبشجاعة بالغة) لجميع أنواع المخاطر دون أي شكل من أشكال هيئات قاعديّة شعبيّة للدفاع عن المتظاهرين (وهي، كما تعلمنا التجربة الأمريكيّة الحديثة، لا غنى عنها)، تتركهم فريسة سهلة أمام القمع الماديّ. الآن، المسألة ليست مسألة إقامة هيئات قاعديّة دفاعيّة وحسب (وهي، أكررُ، ضروريّة جداً) بل أيضاً احداث تناقضاً داخل الجيش نفسه (لا ما بين الشرائح التحتية منه وحسب، بل أيضاً مع بعض الضباط)؛ أنا لا أقولُ بإن عليهم أن يعولوا على الجيش كله كجهاز قمعي (وهذا الخطأ الفادح الذي حصل في مصر والسودان)، بل بإستغلال هذا التناقض القائم فيه لإستقطاب قسم منه نحو الحركات الجماهيريّة (رغم الصعوبة البالغة لهذه المسألة، بما إننا لا نعرف ابداً وضع الضباط والقادة الواقعين تحت الآيديولوجيا–الحقوقيّة الطائفيّة، ناهيك عن الإنتظام الفعليّ للجيش نفسه). غير ذلك، مهما كانت النوايا نبيلة، ستعرض الجماهير نفسها فريسة سهلة أمام الجيش من جهة وميليشيات حزب الله من جهة أخرى.

إن الجماهير قد وضعت لنفسها مهمة تاريخية في قياس وضبط الأمور؛ أنها تجربُ وتكتشف، تطرح اسئلة وتحلها. ورغم أن عفويّة الجماهير، وقوّتها الخلاقة، وشجاعتها أمر في موضع الإعجاب، إلا أن لا يمكن لأيّ واحد منا أن ينفي الحقيقة التالية: أن البورجوازيّة اللبنانيّة ستحرص على بقاء الجماهير في عفويتها دون أي تنظيم فعليّ، إذ إن ذلك ينصب في مصلحتها المباشرة. إنّ نجاح الحركة الجماهيريّة اللبنانيّة لا يعتمد على ما ذكرناه آنفاً وحسب، بل على وجود جهات تنظيميّة مركزيّة يمكنها أن تفّعل ذلك بشكل مباشر؛ أن تفهم، وتبيّن للناس بالتالي، الحقيقة الطبقيّة وراء الدولة اللبنانيّة ككل (لا النظام السياسيّ وحسب). إن هذه التنظيمات المركزيّة هي التي سيكون عليها التنسيق ما بين أشكال تفعيل التناقضات في مؤسسات الدولة من جهةٍ وتحريك القواعد الجماهيريّة من جهة اخرى. من دون ذلك الفشل سيكون مضموناً!

قد لا نجد عند الجهاز النظريّ لمهدي عامل شيئاً متكاملاً يبرز التناقضات الداخليّة الكامنة ما بين أجهزة الدولة البورجوازيّة في لبنان التي أخذت شكلاً طائفيّاً، ولا شيئاً يوحي بتحويل (أو استغلال) هذه التناقضات. ولكننا سنجد – بلا شك – نواة هذا التحليل عنده. لكن النواة ليست هي هي التكامل النظريّ، ولن أمنع نفسي من التساؤل عما إذا كانت أطروحته: كون الدولة الطائفيّة هي هي شكل الدولة البورجوازيّة الكولونياليّة التي تحول دون وصولها كشكل الدولة البورجوازيّة (كما لو كان هناك نموذجاً كونياً لهذه الدولة!)، لا تختزن سلفاً فكرة مغلوطة لكون البورجوازيّة (وبالتالي، دولتها) كتلة واحدة تخلو من تناقضات فعليّة وحسب، بل (جرّاء ذلك) تقفز فوق الطرق التي تتحرك بها البورجوازيّة لإنقاذ نفسها. لكن لا يمكن لأي ثوريّ لبنانيّ حقيقيّ أن ينسى الحقيقة الأساسية التي ذكرها مهدي عامل: ((إن إسقاط نظام هذه الهيمنة «الطائفية» ليس إسقاطاً لمشاريع الحلول الطائفية الأخرى جميعاً وحسب، بل هو ... إسقاط لنظام الطغمة المالية نفسه)).

سواء سيحصل ذلك اليوم أو لا، ليس ثمة انتقالٌ خطيّ (أو تطوريّ) للديموقراطيّة – لا في لبنان ولا في سائر العالم العربيّ. وستكون الجماهير اللبنانيّة أمام الخيار الحاسم: لا ديموقراطيّة حقيقية في لبنان، وسائر الوطن العربيّ، إلا إذا كانت ديموقراطيّة اشتراكيّة! لكن من المستبعد، إن لم يكن المستحيل، أن يكون الانتقال الاشتراكيّ مطروحاً في الشارع اللبنانيّ اليوم. الأيام القادمة آتية وهي ستحسم الأمور، ومهما كنا نخشى أن ينتهي أمر هذه الحركة الجماهيريّة بتحييدها (كما حصل مع الكثير قبلها)، لكن علينا لا ننسى ابداً بأن هذه الحركة ليست عابرة وسيكون 17 تشرين (مهما كانت النتيجة الفوريّة لهذه الحركة) سيكون تاريخاً لن تنساه البورجوازيّة اللبنانيّة ابداً، وسيظل صداه يتردد في ذهنها لمدة طويلة جداً. أما بورجوازيّو المنطقة سيراقبون الجماهير اللبنانيّة، والجزائريّة، والعراقيّة، وسيقولون بلسان ماكبث قبل ارتكاب أيّة جريمة لم يرتكبوها بعد:

((إنها جرائمٌ سيحاسبنا عليها العالم، وسينقلب السحر على الساحر إذ الآخرون سيسحلوننا ايضاً. إنها العدالة، تساوي ما بين الجميع، وحينها سيكون علينا أن نشرب كأس السم الذي قدمناه للناس!)).

قراءة في واقع الحركة النقابية البحرينية – ٢

جواد المرخي

البيان الذي أصدرته أربعة عشر نقابة بتاريخ 13 يونيو، وما طرح فيه يوحي ان هناك تحركًا نقابيًا جادًا، وهذا ما سنتطرق له في حديث قادم.

عربيًا، وليس فقط محليًا، هناك حاجة لتفعيل النضال المطلبي والدفاع عن قضايا وحقوق العمال وسائر الشغيلة، ومحاربة الأسباب الرئيسية الكامنة وراء ضعف الحركة النقابية والعمالية في الوطن العربي، بسبب ابتلاءها بأمراض عديدة منها: الفوضوية، الإنهزامية، والإتكالية، جراء الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الصعبة.

وعليه، ليس مستغربًا بأن تبتلي الحركة النقابية في البحرين بهذا الكمّ من الأمراض المزمنة، وبينها ما أشرنا إليه سابقًا كالطائفية والانتهازية التي تفاقمت مع بروز أحداث 2011، والتي جعلت من الحركة النقابية في البحرين تبعد عن الاستقلالية في اتخاذ القرار، وتصبح تابعة.

وتمكنت هذه الأمراض من الجسد النقابي، فأدت إلى تآكل النقابات وتحويل الكبيرة منها إلى صغيرة، وتبعثر الصغيرة، خصوصا مع زيادة عزوف العمال عن عضوية النقابات لأسباب عديدة، بينها شعورهم بعدم مقدرة هذه النقابات على القيام بالمهام المناطة بها، خاصة مع تفشي البيرقراطية والشللية فيها، ما أدى إلى تدني مستوى العمل الجماعي المشترك، وتغييب دور الكوادر النقابية الكفؤة، ومحاربة الطاقات النقابية بفعل الخلافات وتغلغل قيادات غير فاعلة في جسم الاتحادات النقابية، وبروز خلافات، سببها الأساسي الرغبة في الاستحواذ على المناصب القيادية والتفرد بالقرار النقابي المفكك أصلًا.

نحن لسنا ضد التعددية النقابية، إذا كانت ستسهم في حرية العمل النقابي، لكن للأسف ما يحدث هو العكس، حيث يجري تشجيع وتسعير النعرات الطائفية، مع قيام الكيانات النقابية على أسس طائفية، بعيدًا عن الحس الوطني والمصلحة العليا للعمال، وفاقم من ذلك الانقسامات في وسط التيار الديمقراطي في البحرين، مما انعكس على دوره وسط الحركة المجتمعية، ومنها الحركة النقابية.

إن «لملمة» الشمل تكون فقط اثناء انعقاد المؤتمرات العامة، لتشكيل الأمانات العامة للاتحادات، حيث يترافق ذلك مع احياء نقابات غير فاعلة واستدعاء نقابيين غائبين عن الساحة النقابية، والبعض منهم متورط في بعض المخالفات، وأصبح موقف الاتحادين خاليًا من العمل الجدي في تبني حقوق العمال والدفاع عنها .

وهذا ما يفسر لنا تذمر واستياء العديد من القيادات النقابية مما يجري، واحتجاجهم على الممارسات الإقصائية، وغياب الهياكل النقابية عن ساحة العمل المطلبي، وما حصل في نقابة «بابكو» والتي هي ثاني أكبر نقابة في البحرين نموذج ساطع على ذلك، وهي ليست النقابة الوحيدة في هذا، فمثلها نقابات أخرى عديدة.

«كورونا» والأزمة الأخلاقية للرأسمالية

رضي السمّاك

رغم مضي نحو نصف العام على بدايات تفشي وباء كورونا «كوفيد – ١٩» عالمياً؛ فإنه مازال يفجر أزمات دولية متعاقبة على المستويين الداخلي والداخلي لمعظم دول العالم، ولا سيما الرأسمالية منها والتابعة لها على السواء. و إذ يبدو محور هذه الأزمات المجال الطبي في مواجهة الوباء، إلا أن هذا المجال وثيق الترابط والتشابك مع مجالات متعددة؛ علمية واقتصادية واجتماعية وثقافية تعكس جميعها الايديولوجية الطبقية السائدة للأنظمة الرأسمالية. ولا شك بأن هذه الأزمات فضحت الطابع الأخلاقي اللاإنساني الذي اتسمت به مسلكيات تلك الأنظمة في مواجهة الوباء؛ وعلى الأخص كما تجسده مواقف وسياسات النظام الرأسمالي الأميركي ممثلة في الإدارة الحالية للرئيس دونالد ترامب.

والحال منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية (1939 – 1945) يمكننا القول بكل اطمئنان لم تتعرَ أخلاق الرأسمالية العالمية – وبخاصة الأميركية – بلا ورقة التوت؛ كما تعرت خلال هذه المحنة الوبائية المريرة التي ما فتئ يمر بها المجتمع الدولي، حيث تجردت من الضمير الإنساني عن القيام بأدنى مسؤولياتها وواجباتها الأخلاقية الدولية كدولة العظمى تتحكم في الكثير من مصائر قضايا ونزاعات العالم ، ناهيك عن مسؤولياتها وواجباتها تجاه شعبها لحمايته من شر الوباء.

ولما كان تغييب المساواة الاجتماعية بين طبقات المجتمع، ولو بشروطها الدنيا، هو طابع أصيل من أبرز سمات الرأسمالية، فإن ذلك ترك ويترك أثره حتماً في تفشي الوباء وتفاقم أعداد قتلاه في صفوف الطبقات الفقيرة والوسطى والتي تشكل الغالبية العظمى من المجتمع؛ حيث نجد الاثرياء والميسورين هم وحدهم القادرون على التمتع بالضمان الصحي والطبي الذي يقيهم من الوباء أوالعلاج منه.

أكثر من ذلك فإن الرأسمالية الأميركية لا تتورع عن استغلال أجواء الأزمة الصحية العالمية للمتاجرة في البلاء العالمي التي تمر به البشرية جمعاء، ومن ثم اغتنام أي فرص بزنسية توفرها تداعيات الأزمة؛ حتى أنها افتضحت في ركضها المحموم للحصول على قصب السبق في حق ملكية اختراع ولو اقتضى الأمر شرائه من الخارج إذا ما انعدمت فرص التوصل إليه في الداخل؛ ناهيك عن محاولة الترويج والمتاجرة في لقاحات ناجعة ضد فيروسات سابقة لم يثبت علمياً جدواها في صدّ فيروس «كوفيد – 19»، دع عنك المتاجرة في الأدوية السابقة على ظهور كورونا وأدوات الوقاية الاخرى التي تمت مضاعفة أسعارها في الأسواق العالمية مرات ومرات؛ ولا سيما الكمامات وعبوات التعقيم المطهرة وخلافها.

والحال لم يكن هذا الامتحان هو الأول من نوعه الذي تُمتحن فيه أخلاق الرأسمالية على المحك ؛ إذ برز الامتحان منذ بروزها طابعها الاستغلالي بجلاء على أرض الواقع غداة الثورة الصناعية أواخر القرن الثامن عشر، وعلى الأخص إثر تحولها بعدئذ إلى مرحلة الامبريالية مطلع القرن العشرين، وصولاً إلى طورها الحالي المتوحش تعرضت لإمتحانات عديدة.

تاريخياً فقد برزت أولى مظاهر استغلال الطبقة العاملة البشع من خلال منحها أجور متدنية بلا إجازات إسبوعية؛ نظير ساعات عمل مرهقة طويلة كانت تصل إلى أكثر من ضعف ساعات العمل الحالية المتعارف عليها في تشريعات العمل الدولى المعاصرة، إلى درجة افتقارها إلى الحد الأدني من ساعات النوم الكافية للإنسان (8 ساعات)، بل وعدم التردد عن رميها على رصيف الفاقة تسريحاً، تبعاً لأدنى هزة تمس مصالح وأرباح كبار الرأسماليين؛ ولا يتورع هؤلاء أيضاً عن اللجوء إلى ما يمكننا أن نسميه تعريض الشغيلة إلى عملية القتل غير المباشر جراء اللامبالاة والاستخفاف بأهمية توفير بيئة العمل الصحية وذات السلامة المهنية لهم.

فكم ذهب من أفراد هذه الطبقة المستغَلة قتلى ومرضى ومعوقين بتشوهات خلقية لإنعدام مثل تلك البيئة الصحية في منشآت وشركات أرباب العمل. أما أخطر أشكال الاستغلال فهو الذي تذهب ضحيته لا الطبقة العاملة وحدها فقط ، بل شعبها وشعوب بأكملها ؛والمتمثل في الحروب التي تندلع فيما بين الدول الرأسمالية نفسها على ترسيم مناطق النفوذ أو الاستئثار بها بغية نهب ثروات شعوب البلدان التي تستعمرها بالقوة اغتصاباً، بدءاً من الحرب العالمية الأولى (1914 – 1918)؛ ومروراً بالحرب العالمية الثانية، وليس انتهاءً بعدئذ بحروب التدخل الامبريالية التي ما برحت تشنها ضد الدول التي تستهدفها والتي لا تسير مطواعة في ركابها حتى وقتنا الراهن.

على أن الحديث عن استغلال الطبقة الرأسمالية للطبقة العاملة – منذ صعود الطبقة الأولى – استغلالاً لا إنسانياً دون منحها الحد الأدنى من حقوقها في الأجور المعقولة معيشياً وبيئة العمل الصحية، ناهيك عن مراكمتها الأرباح من خلال عملية «فائض القيمة» الأخطر استغلالاً؛ وغير المعترف بصحتها حتى الآن كنظرية في علم الإقتصاد الرأسمالي وتشريعات العمل الدولية؛ نقول إن هذا الحديث يجرنا بدوره إلى مسألة اخرى، أحسبها في غاية الأهمية، ألا هي توظيف التطور العلمي ليس لصالح سعادة وتنمية شعبها كما يشيع الإعلام الرأسمالي؛ ولا لأي شعب من شعوب العالم برمتها، بل من أجل فقط مصالح أنانية ضيقة لفئة محدودة من المجتمع تنحصر في كبار الملياردية الأثرياء الذين يشكلون الأقلية بين الغالبية العظمى من أفراد شعبها، وهذا بالضبط ما تمظهر لنا جلياً في مسلكيات هذه الفئة الرأسمالية الأنانية التي تمتلك أقل أكثر من 95 ٪ من ثروات شعوبها خلال الحروب والجوائح العالمية التي مرّ بها العالم وكان أخطرها خلال جائحة «كورونا» الحالية.

ولعل أخطر الحروب تدميراً التي تتحمل الإمبريالية وزرها، الحربان العالميتان الأولى والثانية، والتي كان لنسختها الفاشية في الأخيرة دور محوري في إشعالها؛ وحيث ألقت خلالها الولايات المتحدة أول قنبلة مئوية في التاريخ على مدينتي هيروشيما وتجازاكي اليابانيتين أزهقت أرواح ما يقرب من مئتي وعشرين ألف قتيل؛ ناهيك عن القتلى قتلاً بطيئاً جراء الصدمات والحروق الاشعاعية والتسمم الإشعاعي وسرطان الدم الذي ذهب ضحيتيه أغلب القتلى. وما كانت للدول الرأسمالية – وعلى رأسها الولايات المتحدة – أن تتوصل إلى أسلحة الدار الشامل لولا توظيفها العلم وشراء العلماء بشتى الأغراءات للوصول إلى أسلحة فتاكة بالغة التطور لاستخدامها في حروبها العدوانية التي تخدم مصالحها الاقتصادية من خلال الهيمنة والتوسع في العالم.

بيد أن السلاح النووي ليس سوى رأس «جبل اللهيب البركاني»، إن جاز لنا التعبير، من سلسلة المساعي المحمومة في توظيف العلم لخدمة الشر والدمار البشري والعمراني؛ فقد سبقته منذ مطالع القرن الماضي عدد من أسلحة الدمار الأخرى، كان أبرزها الأسلحة الكيميائية التي استخدمت على نطاق واسع في الحرب العالمية الأولى، والأسلحة البيولوجية. ومن المفارقات الغريبة الصارخة أنه في الوقت الذي ندم فيه عدد من مخترعي أشهر الأسلحة في العالم على قيامهم باختراعها ، كما فعل مخترع المسدس صمويل كولت الأميركي الذي نُقل عنه قوله: «الآن يتساوى القوي والجبان»، ومخترع الديناميت ألفرد نوبل الذي شاء أن يكفّر عن خطيئته بتخصيص معظم ثروته لأشهر جائزة دولية عُرفت بإسمه «جائزة نوبل» تُمنح في الأساس سنوياً لواحد من الذين يبذلون جهوداً مضنية خلاقة من أجل السلام واطفاء نيران الحروب المشتعلة والنزاعات المحلية والأقليمية، كما تُمنح لعدد من الرواد العالميين في مجالات العلوم والمعرفة الاخرى. كما أبدى حزنه وألمه الشديدين مخائيل كلاشنكوف مخترع الرشاش المعروف بإسمه إبان الحرب العالمية الثانية التي طاولت بلاده إثر هجوم الجيش النازي المباغت عليها؛ وقال ما معناه في سني حياته الأخيرة: بقدر اعتزازي وبكل فخر لاختراع هذا السلاح دفاعاً عن وطني بقدر ألمي بوقوعه في أيدي المجرمين ومشعلي الحروب غير العادلة في العالم.

وأخيراً فقد أبدى ندمه أيضاً العالم الألماني اينشتاين على الرسالة التي أرسلها إلى روزفلت رئيس الولايات المتحدة عن وشوك توصل بلده إلى اختراع السلاح الذري بعدما طورته وصنعته الأخيرة واستخدمته في نهاية الحرب العالمية الثانية 1945.

الزواج الشرعي والزواج المدني بين المؤيد والمعارض

دينا الأمير

"الوهم نصف الداء والاطمئنان نصف الدواء والصبر أول خطوات الشفاء" – صاحب هذا القول هو ابن سينا العالم والفيلسوف،هذا الطبيب الجليل ألفّ أكثرمن مئتي كتاب في مواضيع متعددة، حيث كان متوقد الذكاء ذا موهبة فذة وعبقرية لا تضاهى، نال من التنكيل ما ناله غيره من العلماء، فأحرقت كتبهم واتهموا بالكفر والزندقة، ومع ذلك ظلّت سيرهم وأعمالهم باقية رغمًا عن منكليهم، واستفاد منها العالم وأصبحت مدخلا للعلوم والبحوث الغربية فغربلت وطورت، وأصبحت كتبهم تدرس في مختلف الجامعات والمؤسسات البحثية والمدارس ودور العلم أمد طويل.

في الآونة الأخيرة كثر الجدل في الدول العربية حول القبول بالزواج المدني، حيث أن جميع الدول العربية لا تعترف به، وفق اعتقاد سائد بأنه يخالف أحكام الشريعة الإسلامية، باستثناء تونس الدولة العربية الوحيدة التي تقرّ هذا الزواج، عملاً بقاعدة فصل الدين عن القانون والأحوال الشخصية.

في شهر فبراير الماضي أعلنت وزيرة الداخلية اللبنانية ريا الحسن عن تأييدها للاعتراف بالزواج المدني، لإتاحة المجال للأشخاص الراغبين بالزواج دون عقد ديني، في بلد يعاني من طائفية شديدة، معلنة أنها «ستسعى لفتح الباب لحوار جدي وعميق حول هذه المسألة مع كل المرجعيات الدينية وغيرها، وبدعم من رئيس الحكومة، حتى يصبح هناك اعتراف بالزواج المدني".

أثار إعلان الوزيرة نقاشاً حاداً بين مؤيدي ورافضي هذا العقد، حيث رفض مفتي لبنان، الشيخ عبد اللطيف دريان، تصريح وزيرة الداخلية، وقال المكتب الإعلامي لدار الإفتاء اللبنانية: «إن موقف المفتي دريان ودار الفتوى والمجلس الشرعي ومجلس المفتين معروف منذ سنوات في الرفض المطلق لمشروع الزواج المدني». وأضاف: «أن هذا الزواج يخالف أحكام الشريعة الإسلامية السمحاء، ويخالف أيضا أحكام الدستور اللبناني في ما يتعلق بوجوب احترام الأحوال الشخصية».

في البحرين لا يسمح القانون بالزواج المدني بالنسبة للمسلمين لنفس الاعتبار، حيث نصّ الدستور البحريني على أن: «دين الدولة الإسلام، والشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع»، ويعتبره زنا وثمرة الزواج المدني من الأبناء أولاد سفاح ولا ينسبون إلى آبائهم ولايرثون، وفي حال إتمام الزواج المدني خارج البحرين، يتعين على الزوجين إعادة الزواج بعقد شرعي. كما يرفض المجتمع الزواج المدني كونه مجتمعاً إسلامياً محافظاً. ولكن يعطي القانون البحريني حق الزواج المدني لأصحاب الأديان الأخرى.

مؤخراً نظمت مجموعة رؤى بالتعاون مع مركز تفوق الاستشاري للتنمية مناظرة افتراضية إلكترونية بعنوان «عقد الزواج الشرعي والمدني، بين المؤيد والمعارض»، شارك في المناظرة عدد من الناشطات، حيث تمّ استعراض الفروقات والمميزات في كل من العقد الشرعي والعقد المدني، وطرحت الآراء المتباينة حول الموضوع من قبل المشاركات. وقبل أن نستعرض ما دار في المناظرة، دعونا نوضح الفرق بين الزواج الشرعي والزواج المدني:

الزواج الشرعي: هو الزواج الذي يُغلفه الإطار الديني، ويُوَثّق على يد كاتب عدل من المحكمة، ولا يُعدّ الزواج شرعيًا وكاملًا إلا بوجود ولي أمر الزوجة وبحضور شاهدَين عاقلين بالغين، ويتم الإيجاب والقبول من الزوج والزوجة وبمهر يُكتب على الزوج للزوجة.

الزواج المدني: هو الزواج الذي يتم في المكتب المدني بوجود موظف متخصص يكتب عقد زواج بين الزوجين، دون أي مراسم دينية أو وجود أي من أهل الزوجين، ويُسجّل في سجلات الدولة حتى يُصبح زواجًا رسميًا وقانونيًا ويحفظ لكل من الزوجين حقوقه وواجباته.

الآراء التي طرحت حول الزواج المدني والزواج الشرعي:

المؤيدون للزواج المدني:

يرى المؤيدون للزواج المدني أنه يواكب العصر والتطورات المجتمعية، ويحفظ حقوق المرأة والرجل ويحقق العدالة والمساواة بين الزوجين وينظمها، ويكون العقد بمثابة عقد شراكة بين الطرفين، ويساوي بين الزوجين في الكثيرمن الأمور. بالإضافة إلى أن العقد المدني لا يسمح بتزويج شخص متزوج (تعدد الزوجات)، وهذا يشكل، برأيهم، حماية للمرأة من ارتباط الزوج بأخرى دون علمها، ولا يوجد بيت الطاعة أو نشوز الزوجة، أو حرمانها من العمل. كما يعطي حق الطلاق للزوج والزوجة معاً، خلافاً لما عليه الزواج الشرعي والذي جعل الطلاق في يد الزوج ولأي سبب دون تحديد، وللزوجة حق طلب الفرقة (الخُلع). كما يرى مؤيدو الزواج المدني بأنه يرتكز أساساً على إلغاء الفروقات الدينية والمذهبية والعرقية بين طرفي الزواج. ويعتبر الزواج المدني زواجاً صحيحاً ومكتملاً لأنه مسجل وموثق رسمياً.

إن الزواج مبني على الشراكة بين الطرفين، وهذا ما يعززه الزواج المدني حيث يساوي الزوجين في الإنفاق، في حين أن العقد الشرعي أوجب النفقة على الأسرة في الأصل على الزوج وحدده دون الزوجة. أما بالنسبة لحضانة الأطفال فيرى المؤيدون بأن الزواج المدني ينظر لمصلحة الطفل عند وقوع الطلاق ومع من يكون خلافاً للعقد الشرعي والذي يحرم الأم من حضانة أطفالها في حال زواجها بآخر أو بلوغهم السن لانتهاء الحضانة. بالإضافة إلى ذلك يقول المؤيدون إن الزواج المدني يخفف من سلطة رجال الدين الذين يضعون القوانين بعيداً عن الدين الإسلامي وينحازون لجنسهم.

لذا يرى المؤيدون بأنه آن الأوان لتطوير عقد الزواج بما يحفظ حقوق وكرامة المرأة، ومعاملتها كإنسان ومواطن ويساوي بينها وبين الرجل أمام القانون وفي الحقوق والتشريعات دون تمييز، ومنح المرأة الراشدة الحق في تزويج نفسها دون الحاجة إلى وصي عليها، ففي وقتنا الحاضر وصلت المرأة إلى مستوى عال من الوعي والتعليم، ومن حقها اختيار ما تراه مناسباً. ووضع الشروط في عقد الزواج الشرعي لا يحمي المرأة، لأنه في أحيان كثيرة لا يتم تنفيذها، والسؤال الأهم من المسئول عن تنفيذ هذه الشروط في حال الاخلال بها؟ الزواج المدني هو الأفضل بالنسبة للمرأة.

المعارضون للزواج المدني:

يرى المعارضون أن عقد الزواج الشرعي هو عقد قديم ومعروف لدى الجميع، فهو لا ينظم علاقة الإنسان بالإنسان فقط كما يفعل الزواج المدني، بل يتعداه إلى تنظيم علاقة الإنسان بنفسه وبربه وبالمحيط الاجتماعي ككل، حيث لا يمكن الفصل بين ما يؤمن به الإنسان وبين ممارساته وسلوكياته داخل المجتمع الذي يعيشه.

عند طرح موضوع الزواج الشرعي واللغط الدائر حوله، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الفصل بين ما هوسائد عرفاً وما هو مُشرع دينياً، والحُكم البشري مهما تتطورفهو قاصر ونسبي حسب الزمان والمكان، كما يجب أن نفرق بين الأحكام القطعية والأحكام الجدلية في الإسلام.

هناك اختلاف كبير بين ما جاء في العقد الديني، وما جاء في العقد المدني تكمن في قضايا الطلاق، والنفقة، والقوامة، والإرث، والمهر، وجميع ما يتصل بالأحوال الشخصية، والزواج المدني مخالف للشريعة الإسلامية، وفيه بعض المخالفات التي تجعل هذا الزواج باطلاً، مثل القبول بزواج المرأة بغير المسلم، أو الزواج دون وجود ولي للزوجة، كما يمنع الزواج المدني من أي ارتباط آخر وقد يجرم عليه، وهذا مناقض لما أحله الله وجعل التعدد حلاً لكثير من المشاكل الاجتماعية.

ويقول معارضو الزواج المدني إن التطبيق الخاطئ وغير العادل للشرع من قبل بعض القضاة يقف وراء المشاكل في الكثير من الزيجات، وليس للزواج الشرعي دخل في ذلك، فمثلا من الممكن أن تضع المرأة شروطها في العقد الشرعي لتجنب ما تراه قد يسبب لها مشاكل مستقبلاً. أما الطلاق فلم يمانع الشرع أن تشترط المرأة أن تكون وكيلة نفسها في الطلاق في حال حدوث مشكلات محددة كعقم الزوج، جنونه، إدمانه، سجنه، غيابه، إصابته بمرض معدي أو نفسي حاد، إستخدامه للعنف ضدها وغيرها من الأسباب.

أما وجوب النفقة على الزوج فلم يمنع الشرع مشاركة المرأة في النفقة بل أثنى عليه، وعلى المرأة أن تحفظ حقها بمستندات ثبوتية، وفي العقد الشرعي تكون الذمة المالية للزوجين منفصلة، والقوامة مرتبطة بمن ينفق، وهذا ما لا نجده في العقد المدني. بالإضافة إلى أنه في حالة وفاة أحد المتعاقدين في الزواج المدني لا يوجب الارث الشرعي ولا يضمن حق النفقة.

يرى المعارضون أنه قبل الاتجاه نحو إيجاد بدائل للزواج الشرعي كالزواج المدني أو غيره، من المفترض أن نتمهل وندرس العقد الشرعي جيدا لتجنب العديد من المشكلات التي قد تنجم لاحقاً، وأن أصل المشكلة ليست في عقد الزواج الشرعي، وإنما المشكلة في عدم تطبيق الشرع بشكله الصحيح من قبل البعض. وبإمكان المرأة حفظ حقوقها بتوثيق ما تريده في عقد الزواج الشرعي لأنه يحمي المرأة.

رأي آخر:

كان هناك رأي آخر حول الموضوع، حيث يرى البعض أن العقد الشرعي جيد وإيجابي في بعض النواحي وكذلك بالنسبة للعقد المدني، لذا يقترحون أن تكون هناك خيارات متعددة للراغبين في الـزواج، بأن يكون الزواج الشرعي والـزواج المدني متاحاً للجميع، وبالتالي فليختر كل شخص بحسب قناعته العقد الذي يراه مناسباً له، فمن أراد الديني فهذا خياره، ومن أراد المدني فهذا أيضاً خياره، على أن يكون الشخص واعي لما هو موجود في العقدين، وبالتالي يكون مسئولاً عن اختياره مستقبلاً.

الخلاصة:

وفي الختام ترى الناشطات أن الزواج المدني غير مقبول في مجتمعاتنا، وان الأصح هو التركيز على إصلاح ما لدينا من قوانين مثل قانون أحكام الأسرة الموحد في البحرين والذي صدر عام 2017، ليكون قانوناً عصرياً موحداً يرتقي لطموح المرأة البحرينية ويحميها. أما بالنسبة لعقد الزواج، ففي عام 2010 أطلقت جمعية البحرين النسائية بالتعاون مع الاتحاد النسائي البحريني مقترحاً نموذجياً لتطوير وثيقة عقد الزواج اشتمل على بنود تفصيلية للاتفاق بين طرفي العلاقة من شأنه أن يأخذها إلى بر الأمان، ويحمي حقوق المرأة، وعلى المهتمين العمل والدفع على اعتماد هذه الوثيقة كوثيقة زواج رسمية في المحاكم الشرعية بشقيها السني والجعفري.

حركات الإسلام السياسي والتطفل على الديمقراطية

في ظل سيادة الاستبداد، لا يزال الخلاف بين الإسلاميين والعلمانيين مستمراً في المجتمعات العربية والإسلامية حول طبيعة نظام الحكم. تصر أغلب حركات الإسلام السياسي على رفض نموذج الدولة الديمقراطية أو المدنية، وتطرح نموذجاً بديلاً هو نظام الحكم الإسلامي، تحت ذريعة أن الحاكمية للّه ووجوب تطبيق شريعة الإسلام.

جلال إبراهيم

من الملاحظ على حركات الإسلام السياسي أنها حين تطرح شعار نظام الحكم الإسلامي تتباين فيما بينها، فالإخوان المسلمين لهم نموذجهم الذي يختلف عن نموذج السلفية الوهابية والتي بدورها تختلف عن حكم ولاية الفقيه القائم في إيران. هذا التباين ليس شكلياً ومحدوداً، بل هو جوهرياً واسعاً. لذلك لا يوجد نموذج واحد لنظام الحكم وفق الشريعة الإسلامية، بل نماذج متعددة كل منها يدعي صحته ويخطىء غيره.

أغلب حركات الإسلام السياسي لا تؤمن بفكرة الدولة المدنية الديمقراطية وتعدها نقيضة لمبادئ الإسلام. بل يعتبرها البعض أنها كفر بالله، لأنه إلغاء لشريعة الإسلام واستبدالها بقوانين وضعية من عند البشر . مثلاً يرى أحد رجال الدين الكبار في البحرين أن نظام الحكم الديمقراطي يؤدي إلى " استبعاد حقّ الله (عزَّ وجلّ) الذي له الحكم كلُّه، وبأمره تأتي سُلطة كلِّ مَن له سُلطة من بعده، وبسبب هذا يكون الحكم الدِّيمقراطيِّ مباينًا للحكم الإسلاميِّ من حيث البعد المنهجيِّ، لأنَّ الحكم الإسلاميَّ قائم على أنَّ الأصل في الحكم إنَّما هو لله (عزَّ وجلّ) وحدَه، بينما الحكم الدِّيمقراطي يرى سيادة وحاكميَّة البشر بالأصالة».

ومن المآخذ التي يأخذ بها الإسلاميون أيضاً في رفضهم للنظام الديمقراطي أن ليس للشعب سيادة تشريعية استقلالية، لأن سيادة الشعب منبثقة من إيمانه بالله، وبالشريعة السمحاء. ولذلك يرددون دائماً بأن منهجهم هو منهج الله، لا منهج الديمقراطية. لكن أليس وإن كان القرآن إلهياً يبقى التفسير والاجتهاد فيه بشرياً أيضاً، وإن اختلاف هذه المذاهب وأنماط الحكم ناتج عن الوضع البشري وحكمه على الإلهي!

بالمقابل عندما تطرح الأحزاب السياسية العلمانية ضرورة الرضوخ للنظام الديمقراطي ودولة المواطنة والحريات واحترام الأقليات الدينية والعرقية، ترتفع أصوات حركات الإسلام السياسي برفض هذه العناوين والأطروحات ووصمها بأسوأ النعوت من قبيل: الكفر، الإلحاد، ضرب القيم الإسلامية، التشبه بالغرب، محاربة القيم، تجهيل المسلمين.

غير أن هناك تأصيل منهجي في تراثنا لفكرة الحق البشري في اختيار نظام الحكم، وهو رأي المعتزلة الذي يرى أن وظيفة الحاكم ترتبط بشؤون الناس اليومية وليس بشؤون الله، فكان شرطهم أن يكون عادلاً، فيختارونه على أساس الاقتناع العقلي بعدله، وليس الاقتناع الروحي بفقهه أو مواعظه، إذ أن تلك وظيفة رجل الدين وليس الحاكم، وبهذا يتهافت الرأي القائل بأن العلمانية مرتبطة بالغرب والإلحاد، ولو قدِّر لحركة المعتزلة الاستمرار لرأينها تسقط فكرة التنصيب الإلهي وتنتصر شيئاً فشيئاً لفكرة التنصيب الشعبي للحاكم. هذا ما كانت تقوله أوسع طائفة فكرية في الإسلام حتى عهد المتوكل.

لكن لماذا تتسابق أغلب حركات الإسلام السياسي لخوض غمار سباق الانتخابات بمختلف أشكالها؟ يُجيبون على هذا السؤال بأنهم لا يريدون أن يكونوا مهمشين وبعيدين عن المشاركة في صنع القرار أو فقدان نفوذهم في مؤسسات الدولة والمجتمع. وعلى أرض الواقع تكاد أغلب الأحزاب الإسلامية والعلمانية المعارضة خارج دائرة المشاركة في المؤسسات الرقابية والتشريعية والتنفيذية بسبب سيطرة الحكم الواحد المستبد.

المساهمة في تثبيت الواقع السياسي القائم على الاستفراد بالسلطة وسيطرة القبيلة أو الحزب الواحد على السلطة ومفاصل الدولة، ليس حكراً على حركات الإسلام السياسي، بل يشاركها في ذلك مجموعة كبيرة من الأحزاب القومية والماركسية والاشتراكية(العلمانية). لكن يوجد فارق في خروج هؤلاء جميعاً على قواعد الديمقراطية، يتمثل في الجانب النظري، حيث يوجد قسم كبير من الأحزاب الإسلامية لا تؤمن من الأساس بفكرة النظام الديمقراطي، بينما الأحزاب الأخرى غير الإسلامية لا تنفي إيمانها نظرياً بالديمقراطية غير أنها تتناقض عملياً في عملها وسلوكها السياسي.

من الملاحظ كذلك على حركات الإسلام السياسي المنادية بتطبيق النظام الديمقراطي في بلدانها، تناقض حاضرها في رؤيتها للقيم الديمقراطية من تراثنا العربي الإسلامي. بمعنى أنها تنظر بإيجابية لتجربة الشورى في عهد الخلفاء الراشدين لكنها تقف مع الحكم المستبد في الحاضر . وهناك حركات إسلامية ترفض الحكم المستبد حاضراً لكنها تقف ضد الشورى وشروطها في مقابل تأييد الحكم القائم على النص والتعيين من تاريخنا العربي الإسلامي.

ولابد من الإشارة إلى أن العديد من الأحزاب السياسية العلمانية العربية لم تلتزم بقواعد الديمقراطية في حال وصول أحزاب إسلامية للسلطة عبر صناديق الاقتراع، وفي ذلك إجهاض لأي تجربة ديمقراطية وليدة من أن تأخذ مداها الطبيعي في التطور والتقدم. مثال ذلك ما حدث في مصر من عزل الرئيس محمد مرسي وضرب الأخوان بمساعدة قوى إقليمية ودولية، أدَّت إلى عودة حكم العسكر من جديد وإنهاء الديمقراطية.

الواقع السياسي العربي القائم على القمع والاستبداد، وعلى التمييز الطائفي والعرقي في أغلب الدول العربية، يستدعي من جميع الأحزاب والحركات السياسية بمختلف أطيافها العمل نظرياً وعملياً على الاقتناع بالنظام الديمقراطي وتثبيت قواعده في المجتمع والدولة، كأداة وآلية واقعية تعمل تدريجياً على نشر ثقافة المواطنة والتعددية والقبول بالآخر، ومن ثم الضغط على سلطة الدولة في التغيير والتحول من حكم الفرد أو القبيلة أو الحزب إلى نظام حكم عصري تعددي يشارك فيه جميع مكونات الشعب ويوفر لهم الحرية والأمن والعيش الكريم .

أما أن تستمر حركات الإسلام السياسي في موقفها التقليدي من الديمقراطية بشيطنتها وتكفيرها، أو بالتعاطي الانتقائي معها بما يخدم مصالحها، فتكون متطفلة على الحقل الديمقراطي، فذلك يُزيد من تعقيد الواقع السياسي سوءاً في دولنا، ويساهم في تثبيته، بدلاً من العمل على تغييره من أجل نهضة وتقدم بلداننا العربية.

ولعلي الوردي عبارة مشهورة عن موقف العرب من الديمقراطية "لو خيروا العرب بين دولتين علمانية ودينية، لصوتوا للدولة الدينية وذهبوا للعيش في الدولة العلمانية». ويبدو أنه مصيب في ذلك.

ماركس والسُكان الأصليون في المُستعمرات – ٤

الماركسية والسُكان الأصليون

إن مُعظم النقد الموجه للماركسية لعدم تقديرها ثقافات ونضال السُكان الأصليين غير مُحدد، مُجرد الإسناد إلى المادية التاريخية والحتمية الإقتصادية والتكنولوجية، والإلتزام غير النقدي بالتنمية، والترويج المُتطرف لإنتاج أكبر من أي زمن مضى (أي الإنتاجية) والتأكيد على البروليتاريا على حساب الفلاحين والسُكان الأصليين. وبينما هذه بالتأكيد بعض سمات تقاليد ماركسية مُعيّنة، حتى أن البعض منها لعب أدواراً مُهيمنة، إلا أنها بالكاد تُمثل فكر ماركس أو أنجلز، أو التقاليد النقدية الثورية لماركس بشكل أكثر عمومية.

ترجمة:
غريب عوض

ومن المؤكد أن أنجلز اتخذ موقفاً مأساوياً نوعاً ما تجاه مجتمعات السُكان الأصليين، وأشاد بها إلى حد أكبر من ماركس، بينما يكتب أحياناً كما لو كان أمراً لا مفر منه بسبب نقاط الضُعف في الشكل القَبَلي للمجتمع الذي كان مُحاصراً داخل حدوده الخاصة وإضطر إلى إفساح المجال لأشكال أُخرى من التنظيم الثقافي، كما يتجلى بالفعل في شكل مُتناقض في كونفدرالية عشيرة أيروغوس. وعلى النقيض، كانت مُقاربة ماركس الأكثر دقة أكثر تساؤلاً حول ثقافات السكان الأصليين – على سبيل المثال، تكشفُ عن تحفظات حول ما يتعلق بمزاعم تخص المُساواة الكاملة بين الجنسين في عشيرة الأيروغوس Iroquois – وفي نفس الوقت أكثر إنفتاحاً على الفكرة التي تقول إن ثقافات السُكان الأصليين بإمكانها الاستمرار وإعادة تكوين نفسها من خلال الصِراعات التاريخية.

ومع ذلك، فإن مُعظم كتابات ماركس في هذا الصدد، بما في ذلك دفاترهُ الإثنولوجية، ظلت غير معروفة، وكان نهج أنجلز المأساوي هو الذي ساد في الأُممية الثانية في عمل بعض من ورثة ماركس مثل بول لافارغيو Paul Lafargue وكارل كاوتسكي Karl Kautsky وجورجي بليخانوف Georgi Plekhanov، ولكن في شكل حتمية تقنية وأكثر تطوراً بشكل صارم مما يُمكن أن يُنسب إلى أنجلز (وأقل إلى ماركس). ومع ذلك، لايُعتبر أي من هذه الملحمات اليوم نموذجاً للفكر الماركسي الكلاسيكي. والشيء الأكثر أهمية بكثير الدِفاعات القوية لروزا لوكسمبورغ حول الإقتصادات الطبيعية للسكان الأصليين، وإصرار فلادمير لينين على تقرير المصير الوطني لجميع الشعوب، والنسج الثري لخوسيه كارلوس مارياتيغي مع الماركسية والسكان الأصليين، جميعها تُشيرُ إلى نقد أعمق لتطور الرأسمالية المركزية الأوروبية.

لم تُلهِم الماركسية حركات التحرر الوطني في جميع أنحاء محيط الإقتصاد الرأسمالي العالمي فحسب، بل بدءاً من خمسينيات القرن الماضي وامتداداً حتى سبعينيات القرن الماضي، كانت هناك مُحاولات كبيرة لدمج النظرية الماركسية بنظالات السكان الأمريكيين الأصاليين في عمل أشخاص مثل Eleanor Burke Leacock، وPatricia Albers وBruce Johansen، وRoberto Maestas، وLawrence David Weiss، وHoward Adams، وغيرهم. وكما أكد جونسين هاورد أدمز، إن الماركسية نفسها وفقاً لدراسة ماركس وأنجلز حول عشيرة إروغوس من خلال لويس مورغن، تُدين بالكثير لِثقافات السُكان الأصليين. ومُنذُ عهدٌ قريب، استمدت الحركة نحو الإشتراكية في الثورة البوليفية الكثير من حيويتها من التقليد الثوري العام المُتجذر في كُل من الماركسية والسُكان الأصليين.

في الوقت الراهن، هناك تفرع جديد للعمل نابع من كُل من التقاليد الماركسية والتقاليد الثورية للسكان الأصليين. إن عمل Coulthard الخارق بعنوان "البَشرة الحمراء، والأقنعة البيضاء" يخلقُ توليفاً غنياً بين ماركس، وفرانز فانون، ومنظور السكان الأصليين في رفضه المُتطرف لسياسة الإعتراف عند المُستعمر. ويرتبط تصوير Allan Greer الرئع لأشكال المُلكية عند السكان الأصليين في أميركا واستيلاء المستعمر على الأرض في أمريكا الشمالية الحديثة المُبكرة في كتابه بعنوان "المُلكية ونزع المُلكية" إرتباطاً عضوياً بأبحاث لِشخوص مثل Morgan و Marx و Engels. إن الكاتبة الأمريكية Roxanne Dunbar–Ortiz تُقدم تحليلاً ماركسياً حول السُكان الأمريكيين الأصليين، كيف أن تأسيس الولايات المتحدة وتوسعها المُستمر مُتجذر في "ايديولوجيا تفوق العِرق الأبيض، والمُمارسة المُنتشرة للرِق الأفريقي، وسياسة الإبادة الجماعية ونهب الأراضي.

في كتابه بعنوان "نهاية عالم الإستعمار الإستيطاني"، يوضح الكاتب Gerald Horne كيفية تَداخُل الإبادة الجماعية للشعوب الأصلية مع ظهور رقيق العبيد والذي لايقل فضاعة أثناء صعود نظام الرأسمالية للسيطرة على العالم. وُقدم الكاتب Nick Estes تاريخاً لافتاً للنظر لقرون من مقاومة السكان الأصليين وصمودهم الثوري، "جحور» مثل حيوان الخُلد لدى ماركس كجزء من "الحركة الأطول في التاريخ." ينبغي مُلاحظة أن النقد الواسع اليوم للإستعمار الإستيطاني سبقهُ مُعالجات ماركس للموضوع ضمن النظرية الإمبريالية في عمل مفكرين كماركس وأنجلز و روزا لوكسيمبورغ و أرغيري إمانويل وهري مغدوف و دونبار أورتيز و موشيه ماتشوفر.

في جميع هذه الأعمال، المُنبثقة من المادية التاريخية، هُناك تأكيد على نزع مُلكية الثقافات الأصلية كعملية مُستمرة – تلك التي بدلاً من أن يكون فيها الاستعمار الإستيطاني مُجرد عُنصر من الماضي، يستمر في أن يكون جزء من هيمنة الرأسماليين على الشعوب وعلى الأراضي. ومن هذا تتدفق مقاومة لا يمكن قمعها تأخذُ أشكالاً مُختلفة، ولكنها مع ذلك ترفض أن تستكين.

الخُلاصة: الثورة المُضادة للإستعمار / والرأسمالية

يُجادل كولتهارد Coulthard في كتابه "البشرة الحمراء، الأقنعة البيضاء" فيما يتعلق بماركس بأنه يجب يتم تناول المواضيع الثلاثة ضمن عمله لكي نجعل كتاباته حول الاستعمار الإستيطاني مُلائمة لتحليل العلاقة بين الشعوب الأصلية وسياسات المستوطنين الليبراليين. أولاً، ينبغي "تجريد اطروح ماركس حول التراكم البدائي من طابعها

بقلم:
John Bellamy Foster

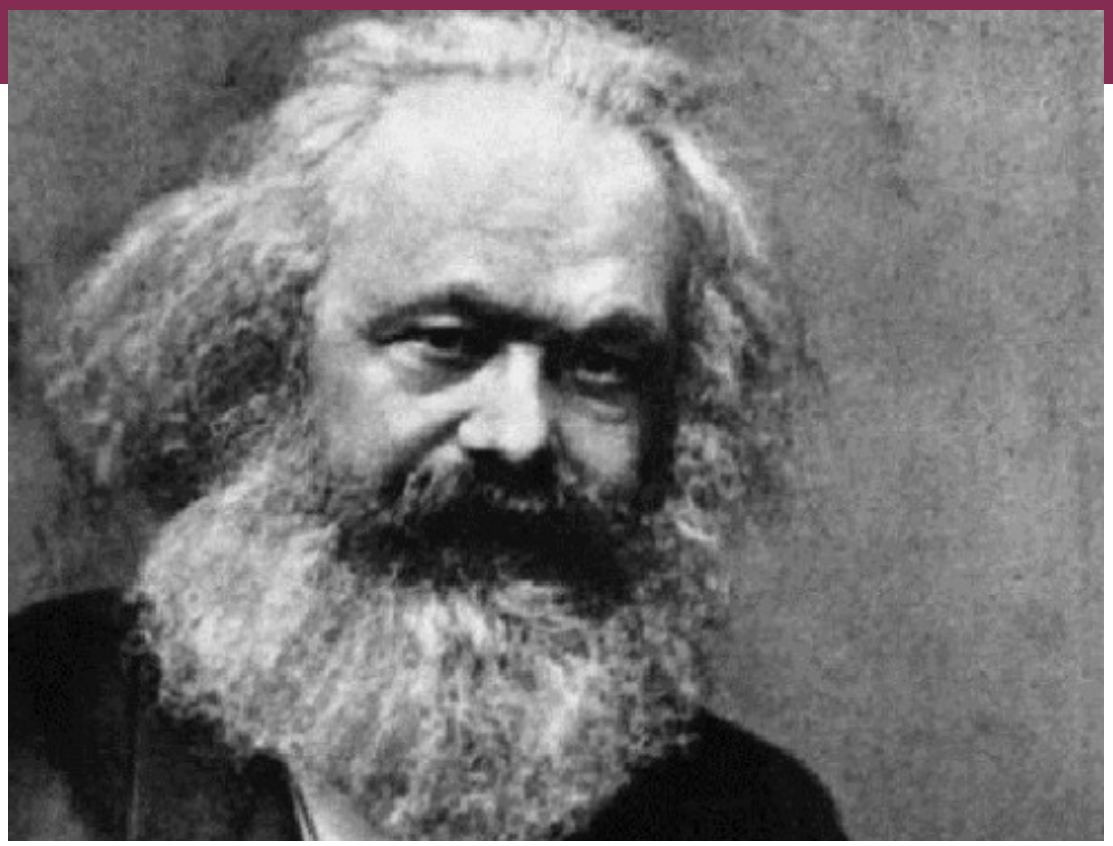

الزمني، الذي يقتصر على المراحل المُبكِرة من التكوين الرأسمالي. ثانياً، "يجب تجريد مُحاجة ماركس من سمتها التنموية المعيارية." ثالثاً، يجب تخليص النهج الماركسي تجاه الرأسمالية الإستعمارية من ارتباطها بالقوة والعُنف فقط وأن يُنظر إليها بالأحرى من حيثُ قدرتها كنظام على إنتاج إشكال من الحياة تجعل التسلسل الهرمي التأسيسي للإستعمار يبدو طبيعياً." إن قضايا كولتهارد الثلاث هي في الواقع شروط لأي نوع من التحليل المادي التاريخي القابل لتطبيق خبرات الشعوب الأصلية في السياقات الإستعمارية الإستيطانية (أو على نطاق أوسع من الاستعمار وما بعد الاستعمار). يجب أن تُشير الحجة السابقة إلى أن الدعوة لإعادة بناء وإستعادة النظرية الماركسية الكلاسيكية قد بدأت بالفعل.

وبهذا الشأن، من المهم مُلاحظة، كما أوضحت آخر الدراسات، أنه لم يكُن لدى ماركس "اطروحة حول التراكم البدائي" على هذا النحو، بل كان لديه نقداً لما أسماه "قصة الحضانة" للتراكم الأساسي على أساس الإمتناع عن التمييز الذي ميّز الإقتصاد البرجوازي، والذي استبدله بمفهوم المُصادرة. كما لم يتم تحديد نهج ماركس في نزع المُلكية زمنياً. بدلاً من ذلك، كان يُنظر إلى المُصادرة على أنها تنتج بإستمرار وتُعيد إنتاج الشروط الأساسية التي كان يعمل من خلالها رأس المال. وبالتالي، عند مُناقشة عملية المُصادرة في الجزء الثاني من المُجلد 1 من كتاب رأس المال حول "ما يُسمى التراكم البدائي"، أشار ماركس ليس إلى الماضي البعيد فقط بل وإلى ما كان بالنسبة لهُ الحاضر كتاريخ: فالمُرفقات في اسكتلندا في 1814–48 التي بدأتها دوقة ساذرلند، وتحويل ممشى الخِراف إلى غابات الغزلان (بدون أشجار) في ستينيات القرن التاسع عشر في إنجلترا، والمجاعة في مُقاطعة أوريسا Orissa في الهند، في عام 1866، الناتجة عن الحكم الإنجليزي. ولا يُنظَر إلى هذه المُصادرة بأي حال من الأحوال على أنها مُقتصَرة على عصر ما قبل التصنيع أو على بداية العصر الصناعي.

والأهـم من ذلك كان رفض ماركس لمنظور "تنموي معياري" بسيط وخطير فيما يتعلق بالإستعمار. في تحليله للسكان الأصليين في الأمريكتين وفي أفريقيا وفي آسيا، خاصةً من نهاية خمسينيات القرن التاسع عشر وصاعداً، لقد بحث بإستمرار في أشكال المُلكية المجتمعية والأُسُس الثقافية واللُغوية لهذه المجتمعات، مع فكرة أن التاريخ لم يكن خطياً. كان الإستعمار نفسهُ بالنسبة لهُ شيء ثانوي نوعاً ما بسبب أن الثقافة وأشكال المُلكية عند السكان الأصليين بقيت تاريخياً حية. وكان على هذا الأساس إنحاز ماركس وأنجلز من أواخر ثلاثيناتهما فصاعداً إلى جانب الحركات الثورية المُختلِفة للشعوب الأصلية في جميع أنحاء العالم، مُدافعان عن ثوراتها ومُدركان أنها كانت تُمثّل شيءً مُهماً من الناحية الثقافية وفيما يتعلق بالمجتمع البشري وأشكال المُلكية التي تتعارض مع إقتصاد السلعة للرأسمالية. وعلى الرغم من ميل ماركس وإنجلز نحو "التطور التنموي المعياري" في العشرينات من عمرهما، إلا أن الأمور قد تحولت لِصالِحِهُما بشكل واضح قبل أن يُغادِرا الثلاثين من عمرهما.

وكما كتب إنجلز في عام 1890، تم توسيع المفهوم المادي الأصلي للتاريخ في كتابات ماركس وكِتابته هو اللاحقة، حيثُ تم الإعتراف بأن "يجب دراسة التاريخ كلهُ من جديد". وشمل ذلك تاريخ العالم غير الأوروبي. وعلى حد تعبير عالم الإجتماع مايكل أر كراتك Michael R Krätke،

لم يمنح ماركس مساحةً للوسطية الأوروبية؛ لم يعتبر تاريخ العالم مُرادفاً لـ «التاريخ الأوروبي» ... دَرَسَ تاريخ آسيا الصغرى والشرق الأدنى والشرق الأوسط والعالم الإسلامي والأمريكتين وآسيا (مع ثلاثة مراكز للتركيز: الهند، الصين، وآسيا الوسطى) ... دَرَسَ التاريخ الاستعماري لأهم القوى الإستعمارية، وكذلك تاريخ الدول التي استعمرها الأوروبيون (أمريكا الشمالية، وأمريكا اللاتينية، وإندونيسيا، وشمال أفريقيا).

في كل هذا العمل، ابتعد ماركس عن عدسات المركزية الأوروبية والتنموية. وصل اهتمامه بالإستعمار الإستيطاني إلى عُمق تاريخ وثقافة مجتمعات الشعوب الأصلية، مُتحداً وجدانياً مع مقاومتها وثوراتها، مُبصِراً في ماضيها (وحاضِرُها) إمكانية مستقبل عالمي أوسع.

إن مسألة كيف تُعزز العلاقة الاستعمارية، بمجرد زراعتها، من الناحية الأيديولوجية نفسها من خلال «قدرتها على إنتاج أشكال من الحياة تجعل التسلسل الهرمي التأسيسي للإستعمار الإستيطاني يبدو طبيعياً» هو عَالمٌ يكون فيه الكاتب Frantz Fanon، كما يقول Coulthard، مُرشداً أكثر فائدة من ماركس. ومع ذلك، يمكن القول إنهُ لا يوجد سوى مسافة قصيرة من استنكار ماركس الغاضب عبر كوفاليفسكي من التلاعب المُشين من قِبل الإستعمار الفرنسي الإستيطاني والإعتراف بالقانون الإسلامي لتبرير مُصادرة الأراضي الجماعية العشائرية من الشعب الجزائري، لإصرار الكاتب الفرنسي الأسمر Fanon الحاد مع القوة الكاملة لنضال التحرر الوطني الجزائري في خمسينيات القرن الماضي أمامه (ومع هيغل وماركس على شفتيه) على تغيير ثوري للإعتراف:

أطلُبُ أن تؤخذ بعين الإعتبار على أساس رغبتي. أنا لستُ هُنا الآن فقط، عالقٌ في شيء. أرغب في مكان آخر وشيءٌ آخر. أطلب أن يؤخذ في الإعتبار نشاطي المُتناقض بقدر ما أتابع شئاً آخر غير الحياة، بقدر ما أُقاتل من أجل ولادة عالم بشري، وبعبارة أُخرى، عالَم الاعتراف المُتبادَل.

ومن يتردد في الإعتراف بي هو ضدي. في النضال الشرس أنا على استعداد لأن أشعر برعشة الموت، والإنقراض الذي لا رجعة فيه، ولكن أيضاً إمكانية غير المُمكن.

بمناسبة مئوية رواية «نحن» ليفجيني زمياتين الـ«أنتي طوباوية» التي تصبح واقعا

بقلم: فالنتين كاتا سونوف

الأدب المضاد للطوباوية حديث جدا. وقد ولد قبل قرن من الزمان بالضبط، في عام ١٩٢٠، عندما ألف الكاتب الروسي يفجيني زمياتين روايته «نحن». فيما بعد ظهرت كتابات معروفة مضادة للطوباوية: «المرجل» (١٩٣٠) لأندرية بلوتونوف، «يا له من عالم جديد مذهل» (١٩٣٢) لأولدوس هاكسلي، «حرب مع السحالي» (١٩٣٦) لكاريل تشابيك، «ساحة الحيوانات» (١٩٤٥) و «١٩٨٤» (١٩٤٨) لجورج أورويل، «٤٥١ درجة فهرنهايت» (١٩٥٣) لريي برياديبري وغيرهم.

ترجمة: عبد الجليل النعيمي

من وجهة نظري كقارئ، يمكن تقسيم كل النتاج الأدبي إلى نوعين: الأول – ذلك الذي يشيخ معنويا، كالنبيذ الذي يتحول مع الوقت إلى خل. الثاني – الذي يصبح أكثر حيوية مع الزمن. افتراضا، يمكن القول أن النوع الأول يشكل 99٪، والثاني 1٪. وعليه، فرواية زمياتين «نحن» تنتمي إلى الطائفة الثانية.

لم يوفق زمياتين في نشر روايته في الوطن. نظرت السلطات إلى مؤلفه كنقد خفي للنظام القائم. وفي نهاية المطاف تم نشر رواية «نحن» في نيويورك باللغة الإنجليزية عام 1925، ثم بالتشيكية (1927)، فالفرنسية (1929). باللغة الروسية نشر النص الكامل لرواية «نحن» عام 1952 من قبل دار تشيخوف للنشر (نيويورك)، أما في روسيا فتم نشرها عام 1988 فقط.

تتحدث الرواية عن أحداث في المستقبل البعيد – في القرن 32 تقريبا. تتكون من 40 قصاصة مذكرات يومية للبطل – اختصاصي رياضيات ومهندس، وهو أحد أهم بناة السفينة الفضائية «انتجرال». من مذكراته سنعرف أنه في القرن العشرين بدأت حرب السنتين العظمى. بنتيجتها «بقي على قيد الحياة 0.2 فقط من سكان الكرة الأرضية». لكنه، مع ذلك، كم أصبح لامعا وجه الأرض المنقاة من أوساخ خلفتها آلاف السنين. ومن ثم تذوَّق هؤلاء الـ 0.2 النعمة في ظلال «الدولة الموحدة». القائد الرئيسي للدولة الموحدة بطل يحمل إسم «الخيِّر». مؤسسات الدولة الموحدة تتكون من مكتب الحراس (الشرطة والاستخبارات) والمكتب الطبي (الذي يتابع الصحة الطبيعية للمواطنين وحالتهم العقلية – النفسية).

بالنسبة للإنسان المعاصر قد تبدو الدولة الموحدة دكتاتورية، تضيق ذرعا بالتجارب الثورية. إلا أنه من وجهة نظر قادة الدولة الموحدة ومواطنيها العاديين هي مجتمع عالي التنظيم بنظام وانضباط صارمين. الجميع هنا يعيش كما النمل في مجتمعه أو النحل في خليته. وكما أن النملة لا تستطيع العيش خارج منظومة النمل، كذلك مواطن الدولة الموحدة لا يمكن أن يكون خارج الجماعة. العقيدة الرئيسية لكل من مواطني الدولة الموحدة هي :

«أنا» – من الشيطان، «نحن» – من الآلهة»

من هنا جاء إسم الرواية «نحن». الدولة الموحدة – هي نموذج الدولة الشمولية التي تسيطر فيها فئة فوقية صغيرة على القطيع المطيع، وكل عضو فيه يرى نفسه سعيدا، ممتنا لرؤسائه. وعلى الرغم من أنها شمولية، إلا أن الدولة الموحدة، من وجهة نظر قادتها، ليست قاسية. بل أنها إنسانية. فهي تضع هدفها الرئيسي – سعادة كل المواطنين. بنجاح يتم تلبية حاجتين رئيسيتين للمواطن – الغذاء والجنس. كل المنتجات الغذائية يتم إنتاجها من النفط، أما الخبز فقد قرأ عنه مواطنو الدولة الموحدة في الكتب فقط. الحاجة الجنسية تلبَّى بصلات بين الجنسين المختلفين، تنظمها الدولة، على أن هذه الصلات لا يجب أن تُفضي إلى تكوين بناء مؤسسي، كالعائلة، وإلى ولادة أطفال بشكل عفوي. الرجُل الواحد لا يجب أن يكون خاصة إمرأة بعينها، والعكس أيضا. الجميع يجب أن ينتمي إلى المجتمع، الذي هو «نحن». وكذلك الأطفال – يولدون بإذن من السلطات، ويجب أن تتبناهم الدولة الموحدة. تلبية الحاجات الأساسية يجب أن تكون على نحو فائض، وإذا أصبحت فائضة فإن الرغبات تجاهها تختفي، أو تصبح أقل أهمية. تُرى أليست هذه هي السعادة ؟ أحد أشكال الهيرويين تكمن في :

«الرغبات مثيرة للعذابات، أليست كذلك؟ واضح إذن: السعادة – هي عندما لا تكون هناك أية رغبات، حتى ولا رغبة واحدة».

صحيح أنه، عدا الحاجات الأساسية، تظهر لدى بعض المواطنين حاجات ورغبات ما، أخرى. وهي ليست حاجات فيزيولوجية. ولكي لا توجد مثل هذه الحاجات والرغبات الزائدة، يتعين «تصحيح صياغة» الإنسان، إزالة ما هو زائد فيه ويشاغبه في الحياة، من قبيل الضمير، الأحاسيس والخيال. يوجد في الدولة الموحدة المكتب الطبي الذي يساعد المواطنين على التخلص من زوائد الأسلاف البربرية (المتوحشة). وهكذا يقومون في الدولة الموحدة بإجراء عمليات لاستئصال مركز الخيال من مخ الإنسان.

لكون بطل الرواية الرئيسي اختصاصي رياضيات، فإنه يفهم جيدا كيف يُصعِّد السعادة إلى أقصاها. هو يرى السعادة ككسر عددي في بسطه النعمة وفي مقامه الحسد. ولكي تُصعَّد السعادة إلى أقصاها على الدولة الموحدة أن تخفض الحسد إلى حده الأدنى. والطريقة الأبسط لهذا الخفض هي جعل الجميع موحدي الوضع، متساوين بشكل مطلق وبجميع المعاني – المادية، الاجتماعية وحتى الفيزيولوجية. المكتب الطبي هو الذي يعمل على أن يكون الجميع موحدي الوضع. ومن أجل هذا يُستخدم علم الوراثة لتنظيم عملية التكاثر.

الدولة الموحدة ستؤدي وظائفها بشكل لا يعتريه خلل. وكما يعتقد الناس القدماء فقد كانت لهم دولهم أيضا. لكن يا ترى هل يمكن الحديث عنها كدول، إذا كانت تظهر لديهم بشكل دوري أزمات وقلاقل وحروب أهلية وثورات ؟ هذا يُعدُّ مهزلة بالنسبة للدولة ! أما الدولة الموحدة فتعمل كآلة متقنة الصنع. أجل، الإسم الآخر بالنسبة للدولة الموحدة هو «الآلة». عمل هذه الآلة يتحقق بفضل زنبرك الساعة – خطة حياة لكل عضو في الدولة الموحدة ولكل مجتمع النمل بشكل تام. بطل الرواية لا يكلُّ من التعجب من توحش الناس القدماء : لقد عاشوا كما اشتهت أنفسهم، كان ضبط الدولة للحياة بدائيا للغاية.

وفي الحقيقة يعترف البطل الرئيسي أنه حتى أكثر الآلات حداثة قد تتعرض لأعطال طفيفة : «لحسن الحظ هذا يحدث نادرا. لحسن الحظ هذه أعطال طفيفة في قطع الغيار : من السهل إصلاحها دون أن يتوقف الدوران الأبدي العظيم لمجمل الآلة. ولكي نتخلص من البرغي التالف توجد لدينا عيون الحراس ...» «يد الخيِّر الماهرة الثقيلة» تضغط أحيانا على زر آلة الرحمة – الوسيلة التقنية الخاصة للإعدام.. لن يتبق ممن أُعدِم سوى بقعة ماء مُقَطَّر. وتتم إعادة تدوير فقط أولئك الذين يتميزون بشدة قياسا بمعايير الدولة الموحدة.

لحد الآن لم يتحقق توحيد نموذج أعضاء الدولة الموحدة بالكامل. لكنه لا يُسمح بانحرافات قوية عن «المتوسط الحسابي». ونقرأ في مذكرات البطل الرئيسي : «نحن – المتوسط الحسابي الأسعد...». في كل مكان نموذج موحد – الجميع يلبس زيا موحدا، الكل يحلق شعر رأسه بسوية (بحيث يصعب أحيانا معرفة من هذا – رجل أم إمرأة). ظروف معيشة جميع أعضاء مجتمع النمل موحدة. فكل الشقق تبدو متطابقة الشبه بجدرانها الزجاجية وزهد

مجموعة أثاثها. لا توجد لأعضاء مجتمع النمل في الدولة الموحدة أسماؤهم الخاصة. بدلا من ذلك تُعطى لهم رموز رقمية. بطل روايتنا (الذي يكتب مذكراته) يحمل الرمز د– 503. صديقتاه الأساسيتان تحملان الرمزين : و – 90 و إ – 330. في الرواية يُدعى الشخص رقما. والحرف الذي يسبق الرقم يشير إلى الجنس، ذكرا أم أنثى، اعتمادا على نوع الحرف (ثابت أو متحرك) .

التطور التقني في الدولة الموحدة على مستويات عليا تضاهي الخيال. ها هو يتم إنشاء سفينة الفضاء «انتجرال»، التي ستُطلق في جولة للكواكب الواقعة في البعد اللامتناه. لغايات التنقل في أراضي الدولة الموحدة تُستخدم المركبات الطائرة («إيرو»). يَستخدم الناس أجهزة الراديوتلفون. في المدارس يعلمون الأطفال العمل. الموسيقى تكتبها الآلات. الطعام مُصَنَّع من منتجات تكرير النفط (كل نملة تُعطى كمية معيارية موحدة في شكل عدة مكعبات من هذا «الغذاء»). التقنية تسمح بالتحكم في البشر. تجري مراقبة الناس عبر ميكروفونات – مجسات غشائية. توجد في ترسانة المكتب الطبي أحدث التكنولوجيات لتشخيص وتصحيح الحالة الذهنية للأرقام (الناس).

نلاحظ أن كل هذه الخصائص التقنية «للحضارة» كانت غائبة أو هي من أشكال الترف في ذلك الوقت الذي كتب فيه زمياتين روايته. التايلورية ، كما يعترف البطل الرئيسي، واحد من العلوم القليلة التي أخذتها الدولة الموحدة من السلف المتوحش. لكن يبدو أن الناس القدامى لم يُقدِّروا هذا العلم حق قدره : « ... كيف تسنى لهم أن يسطروا كتبا ومكتبات بأكملها عن شخصيات مثل كانط، بينما بالكاد لحظوا تايلور – هذا «المتنبئ» الذي استطاع أن يخترق بنظرته عشرة قرون إلى الأمام». لكن البطل الرئيسي هنا يتحدث مستصغرا بأن تايلور لم يستخدم نظامه بكامل قدراته : «نعم، كان تايلور بلا شك الأكثر عبقرية في زمانه. الحقيقة، أنه لم يصل بتفكيره حد أن يعمم طريقته على كل الحياة، لتعمل في كل خطوة، طوال الليل وآناءَ النهار – لم يستطع أن يُكامِل نظامه من الساعة حتى أربع وعشرين ساعة».

في الدولة الموحدة يصدح البطل الرئيسي رياضيات ورقما: «جدول الضرب أكثر حكمة، أكثر إطلاقا من الآلهة العريقة : إنه لا يخطئ أبدا – أتفهمون : أبدا. وليس هناك أسعد من الأرقام التي تعيش نسق القوانين الأبدية الصحيحة لجدول الضرب. لا تقلبات ولا ضياع. الحقيقة – واحدة، والطريق الحق – واحد. وهذه الحقيقة – إثنان مكرر إثنين، وهذا الطريق الحق – أربعة. تُرى، ألن يكون من ضرب اللامعقول لو أن هذين (الإثنين والإثنين، المكررين) السعيدين راحا يفكران في حرية ما، أي من الواضح أنهما يفكران خطأً ؟» ويبدو لبطلنا الرئيسي أن حرمان مواطني الدولة الموحدة منذ زمن من أسمائهم واستبدالها بالأرقام عمل صحيح تماما.

غلاف الترجمة العربية للرواية

اعتاد البطل الرئيسي أن يحشر كل ما يقع في مجال ناظريه في صيغ رياضية معروفة لديه – «ترقيم». وعندما التقى لأول مرة بصديقته إ – 330 اصطدم مع نفسه حول فكرة أنه لا يستطيع «ترقيم» صديقته : « لست أدري – أفي عينيها أم الحاجبين – هناك حرف ما « X» غريب ومثير للإزعاج، ولا أستطيع الإمساك به بأي حال، لأعطيه تعبيرا رقميا». ومع ذلك، فإن القدرة الكاملة على الاستيعاب الرقمي للعالم المحيط تعود إلى البطل فقط بعد أن تُجرى له عملية كبرى لنزع الزوائد الروحية منه. د – 503 يعود من جديد عضوا كامل القيمة – إنسانا آليا بيولوجيا – في مجتمع النمل.

السلطات السوفياتية منعت نشر رواية «نحن»، حيث رأت فيها تصويرا كاريكاتوريا للنظام البلشفي. هناك أحد ما رأى في صورة الخيِّر شخص لينين. بعد مرور عشر سنوات على ذلك بدأ الخيِّر يتراءى للبعض على أنه ستالين. فلاديمير مایاكوفسكي التقط على الفور بأن الصورة الكاريكاتورية لشاعر الدولة (ر – 13)، إنما تعنيه هو – مایاكوفسكي.

أما جورج أورويل في مراجعته لرواية «نحن» (1946) فقد أشار إلى أن زمياتين «لم يفكر البتة في تناول النظام السوفياتي هدفا في مؤلفه». بعض القراء والنقاد اعتقدوا أن الرواية تعكس إلى حد كبير واقع بريطانيا ذلك الزمان. وبالفعل كان زمياتين قد عاش وقتا غير قصير في الألب الضبابي، وتعرَّف عن قرب على حياة العمال الإنجليز (كان يزور بريطانيا على ظهر البواخر كمهندس من روسيا، التي قدمت طلبا لبناء سفن لصالحها هناك). في عام 1917 كتب يفجيني زمياتين عن الإنجليز قصة «أهل الجزر». وفي هذه القصة كانت تلوح ملامح الرواية القادمة «نحن». بطل قصة «أهل الجزر» فيكاري ديولي يؤلف كتاب «عهد الخلاص القسري»، الذي يشكل محاكاة لنموذج زنبرك الساعة في رواية «نحن». وقد رأى الإنجليز في القصة أنفسَهم، فمنعوا صدورها.

بعد عدة سنوات على صدور الطبعة الأولى من الرواية

غلاف النسخة الروسية

في الولايات المتحدة الأميركية عام 1925، كتب زمياتين : « كثير من الأميركيين، الذين كتبوا قبل عدة سنوات عن الطبعة النيويوركية لروايتي «نحن» رأوا فيها نقدا للفوردية. ولم يكن ذلك بلا أساس».

وبكلمة، فقد غدت هذه الرواية تعميمية (شاملة). كل دولة، ومنذ ذلك الوقت، قبل مائة عام، استطاعت أن ترى في الرواية شيئا ما، معهودا لديها، لكن الحديث عنه غير مريح بالنسبة إليها. أما يفجيني زمياتين نفسه فقال عن رواية «نحن» : «المراجعون قصيرو النظر رأوا في هذا الشيئ ليس أكثر من كتيب سياسي. وهذا بالطبع ليس صحيحا : هذه الرواية عبارة عن إنذار يدق ناقوس خطر يهدد الإنسان والإنسانية من فرط هيمنة سلطة الآلات وسلطة الدولة – أيا كانت» (مقابلة أجراها معه المؤرخ الفرنسي جورج ليفيرت في إبريل 1932).

مرة أخرى أقول : رواية «نحن» تنتمي إلى ذلك النوع من النتاج الأدبي الذي يكتسب مع الزمن حيوية أكثر فاكثر. كثير من معاصري زمياتين نسبوا هذه الرواية إلى فئة الكاريكاتور أو المبالغات، مُدَّعين أن المستقبل اللامتناهي البعد استُخدم من قبل الكاتب كتورية للحاضر المثير للسخط (السوفياتي، البريطاني، الأميركي أو أي نظام آخر). إلا أنني الآن أرى أن الرواية أكثر تعميمية، أو ما يمكن تسميته بـ «الإستعارة»، التورية، الغمز. وعن ماذا ؟ عن تقهقر الإنسان والإنسانية. لكن يبقى السؤال : هل ستُقدِّر الأجيال القادمة هذا النتاج الأدبي ؟ أم أنها، كحال البطل الرئيسي، د – 503، ستفترض باحتقار وتعالٍ، أن رواية «نحن» – ثمرة الناس المتوحشين من غابر الزمان ؟

درويش يُجرّد بركات من بريقه

إنّها الفرصة لتقرأ سليم بركات إن لم تقرأه سابقا، فالرجل روّج لنفسه بطريقة جعلته أكثر شهرة مما كان عليه، لكن الغرابة أن نفس الشخص جعله مشهورًا مرتين، ولا أدري على أي نوع من الشهرة حصل هذه المرة.
سليم بركات على طريقة «شاهد ما شافش حاجة» يسرد بلغة بليغة تشبه لغة عادل إمام المسرحية، علاقته بمحمود درويش، وكما لو أننا نرى ولا نرى المشهد جيدا، تتدفق لغته الرمزية فتؤذي عيوننا قبل أن نستقرّ على شيء يُفهم، فنعرف أن الرجل يُحضّر أطباقا معينة في مطبخه، وأنّه ربما يقوم بطهي اللحم بطريقة جيدة، وأنه في بداية حياته كان كابن لدرويش، ثم تحوّل لصديق، ولعلّه تحوّل لشيء آخر في مرحلة ثالثة.

د.بروين حبيب

درويش نفسه في موضع ما من هذه الثرثرات التي ملأت مواقع التواصل الإجتماعي هذه الأيام يردُّ على سؤال قديم سأله إياه الكاتب الجزائري عبد العزيز غرمول: «وكيف حال الجندب الحديدي؟ (عنوان ديوان سليم) فيجيبه: آه، ذلك الطفل أصبح يكتب روايات"...

ولأني أعرف الرجل جيدًا وأعرف حدّة صدقه، فإني توقفت عندما كتبه متأملة سخرية درويش في إجابته، وأستطيع أن أضيف باحساس الأنثى أن ما حدث بين درويش وبركات ليلة أسرَّ هذا الأخير بسره العظيم، لم كن من باب الإطمئنان إلى صديق، بل من باب اختبار تلك الصداقة، إذ يحدث أن نفعل ذلك، حين تنطلق ألسنتنا ببوح استثنائي مع أناس قد نتعرّف إليهم في نفس اللحظة، دون أن نفهم أبدًا لماذا فعلنا ذلك.

في موضع آخر، أقرأ أقسى ما يمكن أن يكتبه كاتب عن كاتب آخر "طبعا كُل من التقى ببركات هذا يعرف بأن الرّجل مجرّد إنسان بذيء ابن شارع لا يؤتمن على سرّ أو أي شيء ذي قيمة" ويضيف "ليس سرًا بأن كان لدرويش في أي وقت من الأوقات حبيبة أو صديقة أو عشيقة، ولا بدّ أن إحداهن لم تلتزم بتناول حبوب منع الحمل، ومن ثم رفضت أن تجهض، على الأرجح حبًا منها بأن تكون عندها إبنة من محمود درويش، فلماذا إذا أبقى محمود درويش الأمر سرًا؟ على الأرجح لأنّه لم يشأ أن يخرب بيت المرأة التي أحب، أمر حدث وكثيرا ما يحدث". هذا الكلام للكاتب الفلسطيني سمير اليوسف، وهو بقدر قسوته، بقدر تقاربه من المنطق بأعلى درجاته، خاصة أنه واضح جدا أنه نابع من معرفة شخصيتي كل من بركات ودرويش معا.

على مدى أسبوعين إذن، ونار درويش تلتهم ما تبقى من بركات، منذ اللحظة التي نشر فيها مقالته "الرياضية" الغريبة، تصاعدت مقالات من هنا وهناك، ونسفت بالسر العظيم الذي حرص صاحب اللغة المبهمة على إخفائه منذ أكثر من عشرين عام.

اشتغلت محركات غوغل عربيا للبحث عن "الكوردي الذي ليس له غير الريح"، ذاك الذي ألهم درويش قصيدة تشبه التعاويذ المباركة، فإذا به بين ليلة وضحاها يصبح اسمًا كبيرًا بتزكية لا نقاش فيها من أشهر شاعر في العالم العربي. كان سهلا أن يرفع درويش أي شاعر من وزن الريشة ويبلغ به عرش السماء السابعة، فمن بإمكانه منذ أصبح سيد المنابر كلها أن يخالفه رأيه؟

أمّا قصيدته تلك فقد كانت الهدية الثمينة التي منحها لشاعر في أول حياته، وبها نال أهميته، كما يحدث دائما، في لحظة لا تفسير لها، يُخرِج كاتب كبير كلماته السحرية ويغطي بها كاتبًا في بداية الطريق دون أن يختاره بعناية، فيصاب هذا الأخير بعدوى الإنتشار، والشعور بالعظمة، ومشاعر أخرى تتشابك وفق حياته الجديدة التي قد لن تناسب حقيقته.

هل هذا ما حدث مع بركات؟

قد تكون هذه هذايانات مخيلة تحت الصدمة، وقد تكون قراءة أخرى بين هذا الكمّ الهائل من القراءات لما حدث، لكن حتما لن تبلغ أي مستوى من مستويات الإساءة لدرويش ومن يجالسهم، كتلك التي وردت في مقالة مليئة بالأخطاء الإملائية والنحوية غير المقبولة لشخص ثالث هو أسعد سليم – والذي لا أعرف عنه شيئا – إدعى أنّه كان حاضرا خلال تلك السهرة المشؤومة التي تلفّظ فيها درويش بسره، على أن الأمر كله كان مجرد إفصاح عن مشروع روائي لم يكتمل، تشارك فيه ثلاثة «سكارى» على حدّ قوله، فمن يصدّق السكران فيما يقول؟

في مقولة ألمانية نجد نصيحة ثمينة تنبهنا ألاّ نصغي للسكارى إلا إذا كان الحديث حول المشروب، مع أن مقولة أخرى تناقضها تماما تؤكّد بشدة أنّ "السكران لا يفرق بين نبيذ جيد ونبيذ سيء".

فما الذي نفعله نحن اليوم من قلب لحياة درويش ومحاكمات لم تنته لبركات؟ هل من العقل أنً يُفتح هذا السجال ولا ينتهي لأن قصة غير واضحة الملامح حدثت في التسعين من القرن الماضي أراد صاحبها اليوم أن يعطيها بُعدا تدميريا لشاعر نعتبره رمزا للوفاء ليس للقضية الفلسطينية فقط، بل للوطن، وطنه هو، بعد أن تهاوت من تحت هذا "الوطن" كل القواعد العربية الداعمة له.

وكأن "ما يحدث منذ زمن يدل على أن الأمّة وهي تنحدر إلى حضيضها الأخير، تحاول أن تنتقم من نفسها عبر وأد كل نأمة ضوء تتجرأ على إفساد ظلامها المتسبب وشخيرها المتعالي" كما ورد في مقالة للشاعر شوقي بزيع حول الموضوع، وهو يذكرنا ببعض الشائعات التي استعجلت موت نزار قباني،

وحنا مينا، والجواهري، ومظفر النواب ومؤخرا فيروز، مستسخفا كل ما يحدث من أشياء مشابهة لزلّة بركات المقصودة.

على أن ما حدث بالإمكان قراءته من وجهة نظر مغايرة تماما، إذا ما اعتبرنا الأمر برمته تراجعًا من درويش عمّا قاله عن "الكوردي" الذي أبعد غدَه بمكنسة الغبار، وهو يشرب الفودكا، بين الكراكي الشقية، وينفض عن هويته ظلال درويش، وهوية اللغة التي عاش منفيا فيها. وهي نهاية غير متوقعة لعلاقة دامت أكثر من ثلاثين سنة، بحلوها ومرها، بمكبوتاتها ومعلناتها، وخباياها التي لن نعرفها أبدًا لأنها ظلّت طيّ الكتمان خارج الإطار الأدبي ونحن هنا لم يعد يهمنا غير ما تركه الإثنان من آثار أدبية لا غير.

يصعب أن نقرأ هذه الواقعة الغريبة بغير حجمها، إذ كأنّها عودة حاسمة لدرويش لتصفية حساب قديم مع الطفل الذي كتب الرواية، وتعاطف معه جمهور واسع من القراء والكتاب والمشتغلين في حقل الإعلام الثقافي مؤخرا لأنّه لم ينل جائزة البوكر ونالها كاتب شاب من الجزائر اجتهد بعيدا عن الأضواء، ودخل السباق دون رعاية شاعر كبير يزكيه.

خسر بركات ذلك الكم الهائل من التعاطف دفعة واحدة وفي فترة زمنية قياسية أضحى واقفًا لوحده، يتأمل «حسنته الوحيدة» في ساحة مكتملة الفوضى.

لكن، ثمة سرٌّ ثانٍ دومًا خلف كل سرٍّ يُفصَحُ عنه، وهو ما عجز بركات عن الإفصاح عنه، سواء كان كراهية مبطنة، أو خلافًا قديمًا، أوغيرة غير مفهومة، أو غيرها، إلاّ أن هذه الحركة اللامدروسة منه، فضحت تماما، كما فضحت كورونا أنظمة بأكملها أن نظامنا الأخلاقي في أزمة كبيرة، وتحديدا النخبة، التي فقدت عقلانيتها للتعامل مع ما تمّ طرحه.

هل صحّحَ درويش خطأ وقع فيه؟ أم خلع بركات تلك العباءة التي أتعبته؟ لا أدري في الحقيقة ما الذي حدث بالضبط، لكني أكيدة أنّ الأشياء كلها لم تعد كما كانت من قبل.

بروفة
الكلام المتخيّل

التجربة تبدأ في النهاية، من كثافة الصمت، من الفزع اللاإرادي وهشاشة أول الصباح، من صرير الاحتمالات وإنغلاقها بشدّة على أطراف الروح، من الدمع المفاجيء والضحك المفاجيء والصمت المفاجيء، التجربة تبدأ في النهاية من طحالب الحنين والأظافر الحادة للكلام الأخير.

وضحى المسجن

التجربة تبدأ في النهاية من السيناريو الطويل للتفاصيل، من بروفة الكلام المتخيّل، من الالتباس والخوف واللامعنى، من مكتب البريد والكتب المتبادلة، التجربة تبدأ في النهاية من عطر زهرة الكرز اليابانية و(تعالي نحكي)، التجربة تبدأ في النهاية وأنت تمعن في غناء مفتعل بينما الروح بكامل نشيجها وارتجافها، وأنت تسند روحك على الكتف النيئة للحقيقة أو تتركها تحت أقدام المعنى.

الآن كل شيء بخير، كل ما يتوجب في تجربة كهذه: سحق الصلصال الآدمي المشبّع بتجارب الوهم والشِعر والتفاصيل، المشي في الأرض المترعة بتاريخ من الضحك والدموع من الخرس والكلام، من الوصل والهجر وما بينهما..كل ما يلزم الآن الصمت الطويل الذي لا يقصد سوى ذاته.

يمكنني الآن النظر لروحي أكثر، معرفة ما أحبّ وما أكره، يمكنني تجربة أمور لا تهم أحداً مثل: ثقب إضافي في أذني كي تصلح لأكثر من قرط، تدريب أصابعي على الأورغ، تربية حيوان أليف، الالتفات لكل ما يشغلني لذاته دون ظلال الآخر.

يمكنني الآن الالتفات لمفضلاتي العريقة:

عطر جينفر لوبس، (لوليتا) فيلمي الأثير عن موضوعي الأثير، عيون أحمد زكي في فيلم (الراعي والنساء)،الاكسلفون، والتاتو وأصباغ الشعر، الشاي بالهيل وأغنيات حليم، والشمس والخرزة الزرقاء، والقطط وريش الطاووس وزهرة عباد الشمس والأقراط والأسماك الملونة

والسماء في لوحة فان كوخ (ليلة النجوم)، قصائد نزار والماغوط وابن زيدون.

أعرفني جيداً..أحب من السفر الطائرة وغرف الفنادق، من السينما الصورة الموازية للحياة، من القطط محبتها للحنان، من المراهقين أرواحهم المتهورة، من المرايا احتفاظها بنسخة طبق الأصل من أي شيء بصرف النظر عن مدى قبحه أو جماله، من الموسيقى الكلام الذي يقوله الصمت، من البحر الزرقة والمحار، من السماء الامتداد والرحابة، من الشمس لعبة الضوء والظل. أحب من الأسرة الامتداد الذي قد لا يعني شيئاً وفي لحظة قد يعني كل شيء. أحب من الأسئلة احتمالات الإجابة، ومن المرض هاوية الزُهد والخفة.

أنا بخير...كانت محاولة، إنعطاف، صدفة، احتمال، وهم، دائرة، كانت كلاماً، زمن، هاوية، حنين، ضربة فرشاة..وكانت عمى. في صحتك، في صحتكم..في صحة عشاقنا.

زهراء المنصور

من ساليري لموتسارت..

لقد تجاوزتك..لكنه كان انتصارا حزينا للغاية

يحدث أن تلمع شرارة الموهبة في أي وقت من حياة الإنسان؛ إن كان محظوظاً استشعرها وطورها، وإن لم يكن كذلك ستكتم، ولن تظهر إلا على شكل ومضات لا تُرى. الأسوأ أن تكون الموهبة فريدة وأصيلة، لكن صاحبها غير مكتف بنفسه، ويتطلع إلى ند حقيقي، أو وهمي، ليستصغر ما بيده، حتى تعطب آلة الإبداع، أو تتوقف، لأن كل التركيز متجه لشيء آخر، غير الذي عنده! وهذه هي حكاية مستمرة مدى الحياة. فالإنسان يستسهل أن يلقي باللوم –في هذه الحالة– على "الآخر"، في حين أنه لا يتمعن في أسباب النضوب الذي يحصل لموهبته.

إن في قراءة السير التاريخية للمبدعين، الذين يستلهم من سيرهم التميز والنجاح وكثير من الكفاح والعمل، دروس إنسانية، وعبر. وتقديم السير الإبداعية يحتاج إلى ضبط كثيرمن التفاصيل المهمة، لأنها تكون مِلكاً للناس وللتاريخ. والشاعر الروسي بوشكين التقط هذه الثيمة، وكتب نصاً من فصل واحد (موتسارت وساليري)، عن العلاقة التي جمعت بين ولفجانج أماديوس موتسارت (1756–1791م)، وأنطونيو ساليري (1750–1825م)، اللذين تزاملا في القصر الملكي في فيينا، كموسيقيَيْن بارعيْن في العصر الكلاسيكي.

ورغم أن سماع الموسيقى الكلاسيكية قد يبدو للبعض في الوقت الحالي فعلاً شاقاً، كونها غير مقترنة بغناء يضفي معنى "مادياً" لامتزاج آلات موسيقية، إلا أن الذائقة في العصور التي سبقت وتلت العصر الكلاسيكي، مثل الباروكي والرومانسي، قد أظهرت أسماء أعلام موسيقية –على التوالي– مثل باخ وفيفالدي/ شوبان تشايكوفسكي وفاغنر/ بالإضافة إلى بيتهوفن وهايدن، بنفس فترة موتسارت وساليري الذي تمكن الحسد منه لما شاهد تفوق زميله "المستجد" بالقصر، فتخلص منه بطريقة أو بأخرى، أفضت للموت.

تتعدد المصادر التي تؤيد أو توثق هذا الحدث، بتجميع أدلة مع أو ضد، إلا أنها كانت إشارة للكاتب المسرحي البريطاني بيتر شافر لإعادة كتابة هذا المحتوى على هيئة نص مسرحي في عام 1979م، وليقدم مرة أخرى في فيلم (AMADUES) أنتج عام 1984م، حصد ضجة أخرى غير تلك التي بدأت ببوشكن، عبر تكوين فكرة رئيسية معنية برؤية المبدع لذاته وخلقه؛ هل يعجب الفنان بصنيعته، أم يعجبه الإبهار الذي يراه في عيون الآخرين؟ هل تؤثر المنافسة فيه، أم أنه منافس نفسه؟؟

لا تتوقف هذه الأسئلة عن طرح نفسها في كل الأجواء؛ المهنية منها تحديداً. لكن تظل مؤطرة في حدودها النظرية، تماماً كما يتحدث معظم الناس بمثالية في كل الأمور، حتى وقت تعرضهم لها! يحدث هذا الاختبار الحقيقي للجميع، والنفس، لو لم يتم تشذيبها ستتصرف بـ"ساليرية" غالباً. فالإيثار، وتقديم الآخر الأجدر والأكفأ عن رضا وقناعة، فعل ليس بالهين على الإطلاق، خاصة في مجال الإبداع الذي لا يحده سقف ولا معيار.

ومن المنطقي أن يقدم النص المسرحي سرداً تاريخياً لحياة موتسارت، باعتباره الأكثر شهرة ورواجاً في سماع موسيقاه. لكن الحاصل أن شافر اختار أن يقدم ثيمة رئيسية في شعور ساليري تجاه موتسارت، وبناء عليه تفهم تركيب الشخصيتيْن الرئيسيتيْن: موتسارت حضر بسمعته التي عرفت أنه عبقري منذ صغره، وقدم أول مؤلف موسيقي في الخامسة من عمره، لوالده الذي كان موسيقياً أيضاً، واهتم بتعليم ابنه الموسيقى، رغم سوء الظروف الاقتصادية لديهم، وشخصية أماديوس –محبوب الله باللغة اللاتينية– برزت في المسرحية وفي الفيلم بأنها الشخصية المرحة/ العابثة/ البسيطة، والعبقرية في مجالها، المأخوذة طول الوقت بسحر الموسيقى، والحياة، والحب، والحياة الاجتماعية.

وبينما يبدو أن المسرحية/ الفيلم يسلط الضوء على حياته، يتم استخدام موتسارت من أجل إبراز شخصية ساليري، الموسيقار المعتمد في البلاط، ذي الصيت المحترم جداً،

والرصين/ الموهوب/ المتدين والحاسد أيضاً! وقد يبدو آخر وصفين له متناقضين، حيث تدعو الأديان في العموم إلى تجنب الخطايا، وقد صنف الحسد في الدين المسيحي على أنه أحد الخطايا «السبع المميتة»، والمقرونة باللعنة الأبدية، ما لم يندم صاحب الخطيئة، ليأتي ساليري ضمن الموسيقيين الذين يذكرهم التاريخ، ليس بالمؤلفات الموسيقية التي خلفوها، بقدر العداوة المضمرة لموتسارت!

ويشير بيتر شافر –منذ البداية– إلى ساليري، الذي ينتقل إلى مستشفى الأمراض العقلية لمحاولته الانتحار، بعد ثقل همه وعظم مصيبته في كل ما فعله بموتسارت، وبعد سنوات طويلة من وفاة الأخير، ووجود ساليري على رأس عمله وموهبته أيضاً، لازالت موسيقى موتسارت تصدح وتُطلب، ولازال فنه خالداً، واسمه مذكوراً، ولازال ساليري نفسه يسمع موسيقى غريمه في الأجواء، وليست موسيقاه. لذلك لجأ الفيلم إلى خاصية «الفلاش باك»، حتى تنفض كل الاعترافات بشكلها المجرد للقسيس الذي جاء خصيصاً لهذا الغرض. ولما كانت حكاية فاوست الشهيرة تقوم على المعاهدة مع الشيطان مقابل المعرفة الكاملة، قامت نفس هذه المعاهدة في AMADUES حين عقد ساليري اتفاقاً مع الرب، المتمثل رمزياً في التمثال الخشبي، لكي يمنحه الموهبة والتوهج في الموسيقى، وقد مُنح ذلك بالفعل، إلى الوقت الذي قابل فيه موتسارت، وأدرك أن لديه الهبة الحقيقية التي تنزل كوحي متدفق لا يتعثر، حينها فقط صغر ما في يديه، وبات كل تركيزه –حسب شافر– في القضاء على غريمه، وتقليص حجمه بأي ثمن.

ولم يصل ساليري لمنصبه في البلاط، إلا لأنه يملك الكفاءة المهنية اللازمة، أي أنه ليس بمعدوم الموهبة، أو اسماً غير معروف قدم على غير تخصصه عبر وساطة ما، لكن علاقته مع نفسه مرتبكة –أو ارتبكت لاحقاً– في ظهور موتسارت في القصر بغير إرادته، علاقته مع الرب التي اعتبرها "توكلاً"، فيما أن "السعي" هو المطلوب للاستمرار، وأخيراً علاقته مع غريمه "الوهمي"، والذي بين شافر أن موتسارت لم يميز كل الألاعيب التي مارسها ساليري عليه، لأنه ببساطة كان يمضي في حياته وشغفه دون الالتفات إلى أي منها، حتى مات مجهداً من التكليف الذي أوكله إليه ساليري –حسب شافر، أو حسب مصادر أخرى مسموماً في شرابه/ أو حتى متأثراً بآلام الكلى التي عانى منها منذ طفولته وحتى بلغ الخامسة والثلاثين.

في الواقع، إن شافر قدّم في نصه المسرحي جانباً مظلماً من سيرة ساليري، في مقابل أن يظهر صورة محبوبة لموتسارت، الذي يبدو أنه منحاز لشخصه أو فنه، ونجح في بناء النقيضين جنباً إلى جنب، حتى أن الحوار لم يخرج عن هذا النهج. ومن المهم الإشارة إلى المشهد الذي أدرك فيه ساليري أن منافسه –الذي لا ينافسه أصلاً– يكتب نوته الموسيقية بدون تصحيح كما يفعل جل الموسيقيين في عملهم، تعابيره التي دلت على غرقه في بحر غيرته لا عودة منها! وصفه إياه بأنه يتلقى "وحياً ما" يجعله يسطر النوتة كاملة بدون تصحيح أو مراجعة، هو اعتراف ضمني مهزوم، يبين حجم الغيرة الحارقة التي نهشت من روح ساليري الكثير، وأظهرته بشكل الشر المطلق تجاه غريمه الذي يتعاطف معه المتلقي ويحب شخصية موتسارت؛ بكل عفويتها، وفجاجتها المفتقرة إلى اللباقة الاجتماعية، والبذاءة في السلوك مع العامة، دون أن يستطيع نفس المتلقي كره ساليري، الذي افتقد كثيراً من سمو الفنان، ورجع إلى كينونته كإنسان طبيعي؛ تغلبه نفسه إلى ما تدعو الأخلاق إلى تهذيبه.

وما يثير الانتباه والتنبُّه أيضاً في فكرة بيتر شافر –نصاً أو عرضاً– أنه عرَّى صفة بشرية موجودة مختبئة، ذلك أن الشبه بيننا وبين ساليري في هذا الجانب متفاوت؛ كل تصرفاته كانت من منطلق ألا يفقد مكانته، ويحافظ على توهجه، ونحن نفعل مثله بطريقة أو بأخرى؛ ننتقد أي جديد يطرأ ويفاجئنا إن حظي بقبول ما، بينما يتطلب الإيمان بالنفس مجهوداً مضاعفاً في تمييز قدراتنا، وأشواطاً كثيرة من التدريب، والمعرفة، والتسلح، حتى الوصول إلى قناعة "امتلاك الموهبة"، ستبدو واضحة وقابلة للنمو والتطور، تشاغل صاحبها في الصحو والنوم، وتملأ أوقاته حول المضي قدماً لتحقيق تقدم ما، أو ستقضي عليه، حتى لو انتصر ظاهرياً، ستهزمه جثة متورمة ماتت في يوم بائس، بجنازة لم يمشِ فيها إلا خمسة أشخاص، لكنها خلفت كنزاً إبداعيا للبَشرية جمعاء.

المصادر:

AMADUES، A Play by patter Shaffer
مسرحية AMADUES، بيتر شافر، https://www.youtube.com/watch?v=nepWR0SUrPU
فيلم AMADUES https://www.youtube.com/watch?v=HLAS2PKtlw
عبارة مقتبسة ومتخيلة من انطونيو ساليري لولفجانج أماديوس موتسارت.

كلام الصور بالترتيب:
Tom Hulci في دور موتسارت بفيلم Amadues
Murray Abraham في دور انطونيو ساليري بنفس الفيلم
انطونيو ساليري
ولفجانج أماديوس موتسارت

حدث في ٦٥

قصة قصيرة:
عبد الحميد القائد

في بداية المسافة
وارتعاشة الطرق تحت رجليه وكأنه ينطلق لأول مرةٍ
في مهمة كان يعتبرها بطولية
غير آبهًا بوحوش الطريق والفضاء والأماكن الظامئة للحرية مثل قلبه.

في المسافة شبه القصيرة التي اصبحت بلا نهاية، ربما بسبب التوتر والقلق الجاثم على الصدر مثل ليل كابوسي.

كأنه طريق اللايقين، وكأن جانبي الطريق يحملان موتًا فجائيًا. بدأ عبدالله يلهث والعرق يتصبب منه والخوف يسكن كل مساماته، متجهًا الى دكان والده في سوق المنامة، الى مرفأ الأمان بعيدًا عن الخوذات والضجيج او هكذا كان يعتقد.

لم يكن يعلم كيف يبدو شكله ولا حالة ملابسه بعد الواقعة الخطيرة التي مرّ بها. لذلك قبل ان يمضي الى دكان والده عرج على المقهى الشعبي القريب «مقهى يوسف» ليزيل التراب والغبار العالق بقميصه. حين نظر في المرآة شعر بالذهول عندما اكتشف وجود آثار دم على كفيه وساعديه وعلى قميصه الأزرق السماوي الذي كان ممزقًا في عدة اماكن فتساءل كيف سار في الطريق بهذا الشكل. تخلص من آثار الدم بسرعة وغسل وجهه وقميصه ويديه ومشّط شعره وتصرف كأن شيئًا لم يكن. جلس في دكان والده الذي كان ينتظره ليخرج ليقضي حاجاته.

تنفس الصعداء وهو جالس في الدكان، اصبح الآن على الأقل بعيدًا عن موقع الحدث، المكان الذي تراءى له أنه ملىء بالفخاخ. عاد بريئًا مما حدث او هكذا اقنع نفسه، غير مصدّقًا كيف استطاع ان يفلت من قوات مكافحة الشغب التي تحيط بمدرسته الثانوية بعد أن قفز من السور قفزة غريبة وخطيرة لم يكن بوسعه ان يفعلها في الظروف العادية ولكن لحظات الخطر تجعل المرء يفعل المعجزات..

كان بعض الطلبة قد خططوا للهجوم على المدرسة وتخريب امتحانات الأول ثانوي نظرًا لوجود عدد كبير من الطلبة خلف الشمس وبسبب إضـــراب الكثير من الطلبة عن تقديم الإمـتـحـانـات احتجاجًا على ما حدث وكل ما حدث في إنتفاضة مارس، لكنهم عندما قفزوا الى داخل المدرسة، ودخلوا الصفوف ليخلقوا فوضى عارمة حسب خطتهم، لم يستجب الطلبة المتحنون واصيبوا بإحباط كبير. اضطروا الى المغادرة بسرعة لكن عددًا من المدرسين بدأوا بملاحقتهم للإمساك بهم، ولم يكن امامه سوى أن يتسلق سور الغرفة المجاورة للمقصف وكانت بدون سقف وكانوا يستخدمونها كمخزن يرمون فيه ادراج وكراسي الطلبة المكسورة، نظر الى الأسفل ولم يجد اية مسافة خالية. قفز على تلك الأدراج غير آبهاً بالمسامير الناتئة وقطع الأخشاب الحادة. انها حلاة الروح! تسلق السور الثاني المؤدي الى الخارج. عندما قفز الى الخارج فوجىء بجيب شرطة قادمًا فإختبأ خلف شجرة كبيرة خلف السور، ولحسن حظه لم يروه.

جلس في الدكان ساهمًا او ربما نادمًا على تصرفه الصبياني الـذي لم يكن له معنى منطقي حين يفكر بعقلية هذه الأيام ولكن لأيامٍ الصبا معطياتها ودوافعها وأمزجتها. وبينما كان غارقًا في التفكير، شاهد احد الطلبة وكان يكبره سنًا اسمه «نورس « الذي توجُه اليه حيث يجلس:

– انت جالس هنا والمدرسة الثانوية مقلوبة رأسًا على عقب.
– ماذا حدث؟
– الطلبة افسدوا الإمتحان وهم يسيطرون على المدرسة الآن.
– لا علم لي يا نورس ولا شان لي بذلك.

في الحقيقة شعر عبدالله بإرتياح كبير وتنفس الصعداء عندما ابلغه هذا الطالب المشبوه المشكوك فيه دائمًا بما حدث وتأكد ان حركتهم نجحت في تخريب الإمتحانات.

حالما مضى ذاك المشبوه، غادر عبدالله الدكان مسرعًا الى مدرسته ليرى مالم يحب أن يراه. مئات الطلبة محتشدين في الساحة مع وجود عدد منهم في الطابق العلوي بقسم الإدارة وهم يرمون ملفات الطلبة من البلكونة والطلبة المحتشدين في الأسفل يمزقون الأوراق ويطعمون الملفات للهواء وكانت تتساقط ويدوسونها بالأقدام. شعر بعدم ارتياح بل بغصة عميقة وإحباط قوي مما يرى وتنهد بحسرة «آهٍ يا وطني! «، ومضى خارجًا من بوابة المدرسة التي كانت مفتوحة ليشاهد والدته خلف الباب تسال عنه وهي في حالة من الهلع. أمسك بيدها وصمتٌ غريب يلفه وهما في طريقهما مشيًا الى البيت!!

بعد عدة ايام بلغه نبأ فصله من المدرسة!

مسافة أمان

فاطمة محسن

(مسافة الأمان هي المسافة الكافية الواجب تركها بين عربتك والعربة التي تسير أمامك، حتى تتمكن من تفادي الاصطدام بها عند التخفيف الفجائي للسرعة، أو الوقوف المفاجئ لهذه الأخيرة)

هل يجب أن نضع هذه المسافة بيننا وبين الناس؟

هل القرب من الناس بدرجة كبيرة يعرضنا للاصطدام بهم؟

وماهي المسافة الكافية لذلك؟

وهل لاصطدامنا بهم نتائج كارثية قد تؤدي لفقد الحياة كما في اصطدام العربات؟

التوقف المفاجئ في علاقتنا بالآخرين، والذي يؤدي لاصطدامنا معهم، قد يكون اصطداما خفيفا لا يتعدى القشرة الخارجية، فيحدث من جراء ذلك بعض الأضرار الخفيفة والقابلة للإصلاح،بحيث نستطيع أن نخفي العيوب التي حدثت بكلام بسيط وطيب.

وقد يكسرهذا الاصطدام القشرة الخارجية ويصل لأكثر من ذلك، فتبرز لنا الصورة الحقيقية للشخص ببشاعتها، فتنكسر نفوسنا لأننا نرى حينها مالا نريد أن نراه، ونسمع ما لا نرغب في سماعه، لذا علينا أن نستخدم بعض قوانين المرور، فعلينا أن نجعل بيننا وبين الناس مسافة أمان تقينا الاصطدام بهم، وما يترتب على هذا الاصطدام من ألم نفسي قد نعجز عن علاجه، علينا أن نكبح جماح تعلقنا بهم، وبوحنا بما يوجعنا ويؤلمنا وما يدور في قلوبنا وعقولنا، كي لا يتناثر كل ذلك وقت الاصطدام، يجب علينا أن نضع إشارة حمراء تكبح جماح تهورنا في الثقة بهم، ووضع سقف لتوقعاتنا منهم وعلينا أن نلتزم بحزام الأمان، كي لانُقْذف من حقل سعادتنا إلى جحيم كلامهم المشتعل بزيت الغضب، علينا أن نستخدم جل مهاراتنا في فن الحوار، كي نتجنب هذه الاصطدامات المهلكة علينا أن نختبر الصديق في ثلاث كما أكد الإمام الصادق وذلك في وقت غضبه، وعند الدرهم والدينار، وعند السفر معه، حينها فقط نستطيع أن نسميه صديق بعد أن يمر بفلتر الصداقة والإنسانية.

لا يمكننا أن نقيس المسافة بيننا وبين الآخرين، بعملية حسابية كما يفعل المرور بالنسبة للعربات، كي نتحاشى ردة الفعل الناتجة عن اختلافنا معهم بفكر أو رأي، في زمن يُصر فيه الجميع بتعصب مكشوف على أن نتبعهم في أفكارهم وتوجهاتهم، وإلا فعلينا أن نسمع منهم حين يحلون عقال لسانهم، ما يؤدي لنتائج تمس الروح فتصرعها، لذا استعد للسير في درب الحياة بمسافة أمان تقيك عثرات ضربة الاصطدام الموجعة.

ما على الضيف إلا الرحيل

سوسن حسن

هي رواية معادة وقد لا تكون ذات أهمية، تلك الخاصة بالرحيل والتي كتب عنها الكثيرون، إذ أننا أصبحنا معتادين على الرحيل، ومجبورين عليه في لحظة من لحظات حياتنا. قد نرحل عن الأمكنة، إن كان منزلاً أو وطناً، وقد نرحل عن من نحب، إن كان أباً، أو أماً، أو حبيباً، أو حتى صديق. ليس لنا قرار في ذلك أحياناً. يحدثنا كتاب ترميم الذاكرة للدكتور حسن مدن عن هذا الألم: "ما أكثر ما تضيق الأوطان بأهلها! فتقذف بهم الحياة الى مصائر تصنعهم أكثر مما يصنعونها».

رحت أسأل أناساً كثر أجبروا على الرحيل عن أوطانهم و منازلهم: ما هو شعور الغربة؟ أجابتني إحداهن بأن بلد الغربة يصبح بلد الخروج من الوطن. أن تكون بعيداً، هو أن تكون غير قادر على الاستمتاع بالوطن. أجابني شخص آخر بأنه أشبه بالانفصال عن الحبيبة، مبرراً بأنه ألم داخلي قبل كل شيء. قد تحبه وقد تظن أنه سيلازمك طوال حياتك، لكنه سرعان ما ينفصل عنك، مجبراً إياك على الرحيل.

يأتي هذا الانفصال كالسوط القاذف على القلب فيثقل النفس، ثقل كاذي عناه محمود درويش "قلْبي ثقيلْ فاتْرُكيهِ هُنا حوْلِ بيْتك يعوى وَيَبْكي الزّمان الْجميلْ ليْس لي وَطنٌ غَيْرُهُ، في الرّحيل أُحبُك أُكْثرْ". و في الرحيل، نحب ما تركناه أكثر وأكثر ليصبح هوساً، و تصبح غربة الروح أصعب غربة.

قد نتعود على المكان مع الوقت، فتصبح العودة أصعب، وهذا شعور آخر. وقد نعود ولا نستقر أبداً لتعودنا على الرحيل المستمر.

لكن ماذا عن الغربة الاختيارية ؟ تلك التي لا تتضمن قراراً مصيرياً، ويستطيع المرء فيها العودة لموطنه بسهولة. صورها أحدهم بمثابة العلاقة بين امرأتين، اذ يعتبر الوطن زوجته وبلد الغربة عشيقته.

قد يحار المرء أين يعيش لكثرة الخيارات. الأهم في ذلك كله، هو وجود سبب نعيش من أجله في البلد الذي نحن فيه. حين يتوقف المعنى يذهب كل شيء، ولا يعود للوجود سبباً. لا يمكن للمال أن يكون سبباً للوجود في مكان معين، لأن لا معنى له. على العكس من ذلك، قد يكون الحب سبباً، حب الناس الموجودين في المكان، حب المهمة الموكلة إلينا في هذا المكان، وقدرتنا على صنع شيء فيه.

كل الذي علينا هو انشاء جسر بيننا وبين المكان الذي نعيش فيه، جسر نستطيع من خلاله السفر الى وجهات أخرى، وإنجاز المشاريع التي نصبو اليها. ليست هنالك وجهة نهائية يستلقي فيها المرء الى الأبد فنحن في سفر مستمر، ومثلما قال الامام علي عليه السلام: "كن في الحياة كعابر سبيل، واترك وراءك كل أثر جميل، فما نحن في الدنيا الا ضيوف، وما على الضيف إلا الرحيل»

رسائلُ باهتة

نادية الملّاح

أوّلُ الكلام صمت!
(....)
سأسرّ لك بشيء...
أنا أحترم الصمت كثيرًا
وأقدّس هيبته
ولا احاول قط المساس بحرمته،
فهو الصومعة التي يتبتّل فيها العابد والزاهد
والعاشق والمجروح
هو الدّير الذي تُقرأ فيه تراتيل الروح ولا تتوقف
حتى يعلو صوت جرس الحواس
لهذا ..
أعتنقه دينًا وملّة
وأركن إليه كثيرًا كلما حاولت الحياة صفعي أو
التطاول على شعوري
أعشقه وأقدّسه
وأحتمي به من شر هذا العالم باسره
وأبتسم كثيرا وأنا في كنفه
تعلو ضحكاتي وتزداد شقاوتي
وذلك لفرط شعوري بالامان في حضرته
الصمت
باب الأمان وجنة الخيبات والحرمان
الصمت مآب المشتاقين والمحرومين
ومن حبره ساصوغ قريبا "رسائلي إليك»
تلك الرسائل التي هي همس الروح للروح
ومناجاة الأنفاس لخلايا الدم...
سأسطرها
قريبا

(1)
هي فتنة الوقت، فتنة الغربة،
فتنة الموت على قارعة النبض،
ورصيف العمر خاو إلا من أعقاب السنوات
المحترقة بين أزقة الغربات...
ها أنت...
وها بين يديك رسالتي الأولى التي كم آثرت ألا
اكتبها كي لاينال من نفسك حزن أو ألم
كيف بي وقد فاض بي الوجع حتى بات سيلا
جارفا... طوفانا يقتلع مني النبض حد ألّا يُبقي
ولايذر ..
أتدرك أنك وسامي الذي أتقلّده فخرا وتباهيا؟
أتدرك أنك عالمي الذي أحياه مختزلة فيه الكون
بأسره؟
ثم... هل تدرك حجم الخذلان لقلب امرأة تكسّر وقتها
أمام بوابة انتظارك؟

هل تعرف أية خيبة تقتلنا حين يخذلنا العالم...
أنت عالمي فكيف يمكنني استيعاب غياب الحياة عن
رئتيّ... !؟
لا لوم ولا عتاب
لكنها زفرة موت تخنقني وتطبق أصابعها على عنقي

(2)
لن أسألك أين أنت؟
ولن أقولَ لك: ما الذي سرقك منّي؟
الحقّ أني فخورة بك... فخورةٌ جدًّا لأنك (رجُلي)
الذي اختاره القلب والعقل
فخورةٌ لأنك حصني الذي أتململ بين ذراعيه كلما
توعّدتني الحياة بألم ما
ولأنك الرّجل الذي أرَى من خلاله العالم كله
لذا... أرى العالم كلّ يوم أجمل...
كنتُ أبدأ بك يومي، وأختَتمه بصوتك الذي أحب،
ومابين صوتك وصوتك، تبقى رسائلنا تتهادى شوقًا
ودلالاً وأحيانًا فكرًا ونقاشًا
هكذا أحببتك، وهكذا سأظلّ أحبك...

(3)
الأيّام تتسارع،
تجري عبثًا، وأدرك أنّ اليوم الذي يتلاشى لا يعود،
صار اليوم يمرّ وأنا معلّقة في مشنقة الشوق
والانتظار،
قلت لي: حبيبتي... سأحدّثك لاحقًا...
ابتسمتُ حينها وأبقيت على هاتفي بين يديّ،
سيشهق بعد قليل،
سينتفض حتمًا بفعل ارتجاف الشوق بين أضلاعي،
وحين يأتيني صوتُك سأقول لك ما يؤلمني،
وسأحكي لك عما أسعدني، وهل ثمة ما يمكن أن
يسعدني سوى سماع صوتك!!؟
سأخبرك عن كلّ مادار في يومي من دونك... تمامًا كما
كنتُ أفعل دائمًا...
أتدري...!؟
صرت أرسم خطوط يومي وملامحه على نيّة عينيك
وأنفاسك،
وجهي، ملابسي، أحاديثي، كلّي...
مهلاً...
كأنّ ضوء الصباح تسلّل من نافذتي!!
أيعقل...!! مرّ يومي دون أن ينتهي ذلك(القليل) الذي
وعدتني بأن تخابرني بعده
لابأس يا نور الروح
كن بخيرٍ وحسب...

(4)
لا أدري أين يكمن الخلل حقًّا،
هل هو في نبضي؟
أم في دقّات الساعة؟
لا أدرك حقًّا كم مرّ من الأيام والساعات والدقائق،
مؤلمٌ جدًّا أن تشعر فجأة بأنك لاشيء،
بأنّك مجرّد قطعة (ليجو) لسدّ فراغٍ ما،
أو رتق مساحة متصدّعة...
لماذ عليّ أن اكون الهامش المركون الذي يظلّ صامتًا،
ولا يمكن الرجوع إليه إلا حينما...
حينما ماذا؟ لا أدري؟
لكني أكره أن أكون عنصرًا لسدّ الثغرات وملء
فراغات الروح،
وما إن يطرأ أمر ما حتى أركن في (خانة الملاحظات)
أيضحك هذا التشبيه؟
أم أنه يضايقك؟
صرت لا أراك ولا أسمعك... كأنك أمنية معلّقة بطرف
نجمة،
وكأني جسرٌ معلّق على فوهة بركان...
لم أعد أنتظر...
لم أعد أعاتب،
لم أعد أضع نفسي في موضع العاشقة التي لها الحق
كله أن تطمئن على معشوقها ولو بهمسة!
الواقع أني... لم أعد أنا...

(5)
لاملاذ أيها الوقت، ولا مناص،
حشرجة الغربة تصيبك بالسقام،
وتتركك رهنًا لمخالب الخوف، والوحدة،
بعيدا عن كل شيء،

فلتستسلم للوسادة،
حلمك من واقعك أرحم

(6)
أتوسّدُ يديْ،
أتوسّمُ أنفاسك التي تتصاعدُ عطرًا من بين أصابعي،
أقرّبها لوجهي أكثر، وأكثر، أكثر...
أتعقّبُ ملامحي بأطرافها،
ها أنتَ،
بالرّغم من مسافةٍ جائرة،
خلقها الوقت،
وتآزرت معه الحياة،
ها أنت رغمًا عنهما، وجهكَ لوجهي التصاق،
أراك في كلي،
وأبتسم كلما أغمضت عيني ورأيتُ ابتسامتك،
رجُلي،
عالمي،
أناي...
أسكنّي بين أضلاعك لعلي إن سكنتُكَ سكنت...

(7)
وماذا لو كنت بين يديك الآن؟
أستجمع كلي فيك وأختبئ بين أضلاعك...
أتدرك أيّ شعور بالأمان يجتاحني وأنا معك؟
وماذا لو ملكتُ أنا زمام الغياب؟
والصمت؟
والجفاء...؟
ماذا لو فتشت عني ولم تجدني حين تخفق روحك
شوقًا...!؟
حتمًا لن تبحث عما يبرّر او يُبرّئ روحي من هذا الذنب،
بل ستقول ببساطة:... لقد تغيرتِ...

(8)
لماذا تصرّ الحياة على أن تثأر مني دائمًا؟
لماذا علي أن أحتمل المزيد؟
ولماذا... لماذا عليّ أن أظلّ بابتسامتي من أجل الجميع؟
أليس هناك ثمة من يبتسم لأجلي!!؟
ألا أستحق!!؟
أين ذهبت؟
انفرطت مسبحة الوقت من بين أصابعي...
تضاءل الزمن في عينيّ،
كلّ ماحولي فقد لونه ونكهته وملامحه،
عدتُ إلى نقطة الصفر تمامًا، أحاور وسادتي وجدراني
الوفيّة جدًّا،

أسترسل في حديثي معها،
أتصدق.. إنها تبتسم لي أيضًا في بعض الأحيان،
في حين أنك تتوارى خلف قناع الوقت، والانشغال،
والظروف،
وهذه الجائحة المقيتة لم أخف منها،
فأنت تعلم رباطة جأشي،
لكني صرت أحتقرها وأكرهها جدا... فقد كانت بارعة
جدا في سرقتك مني
وأنت كنت حنونًا جدا معها،
بل كنت مستسلمًا لها حدّ أن لا شيء قد يقنعك أنها
لاتستحق
ماذا عني أنا؟
ماذا عني وأنا التي فقدت كلّي فيك..!؟

(9)
أسألك؟
أم أسأل وجعي المستشري في كلّ أجزائي؟
أم أسأل قسوة الوقت وقلبك؟
كنت وما زلتُ على قناعة تامّة بأنّ من يعشق لا يستغني
عن معشوقه بحال
لا يمتلئ راحة إلا برؤيته،
لا يزفر تعبه إلا بسماع صوته،
لكنك ابتعدت كثيرًا... كثيرًا جدا،
وحديثك اختار الكفاف بعد العفاف،
تخابرني وتظلّ صامتًا لا تجد ما تقوله، وربما لا تجد ما
أستحق أن تصبّه في أذنيّ من حديث،
تغادر على وعد العودة،
اطمئن... لم أعد أنتظر...
أدمنتُ الغياب
أدمنت الوعد الذي لا يجيء
أدمنت موتي المقنّع بابتسامة كذب
لكني لا أملك أن أنتزعك مني،
ولم أعد أمتلك سوى دموع تغلبني وأنا أتصفح صورك،
نعم، لا تستغرب كثيرًا،
صار وقتي مأهولاً بصورك أتصفحها، لأبتسم، لأستعيد
الحياة في دمي ونبضي وأفكاري،
كنتُ إذا تملّكني الشوق إليك أخرج على غير هدى،
أرتادُ الأماكن التي اعتادت أن تجمعني بك،
أطلب القهوة التي نحتسيها معًا،
ولا أستطيع أن أشربها لأن ضوء ملامحك لم ينِر عينيّ،
أتدري أيّ خذلان يجتاحني الآن؟
لم يعد بمقدوريَ أن أقصد أيّ مكان،
أو أستعيد أية ذكرى،
لأنها باتت أشبه بمقصلةٍ تقطّع شراييني،

اششششش... أعرف ردك جيدًا
" عليك أن تقدّري الوضع"
وسأكرّر سؤالي:
وماذا عني أنا!!؟
أين أنا منك؟ ومن ظروفك؟ ومن انشغالك؟ ومن ومن
ومن...

(10)
ربما تبدو حروفي أكثر إرهاقًا مني،
لكنّي لا أمتلك رئة سواها...
كن بخير حيث اخترت أن تكون

تعالي
إلى جحيمي..

بتول حميد

لطالما دفعني الألم لكتابة الشعر
كلما كمم الحزن شفتي ليخرسني
ابتسم إليّ الشعر في دعةٍ ورقة:
تعالي إلى جحيمي..
أقول له عاجزة:
أرجوك احتضني
فقد مزقت عمري حتى أجمعك..
يرهقني النشيج
أتشظى
بضعة طفلة عنيدة
فتات حنين مراهق
تنهيدة عجوز
وأغنية..
لكنه يستوعبني
بعناق واحد
يحافظ على وحدتي ويملؤها..
..

وجِل طموحي
أن أُقلم كل انفعالاتي
وأهذب كل مشاعري
لأختصرها في عاطفة عالية
لا تأبه لهم صغير
لا تضيرها ضغينة تافهة
لا يرف جفنها لحسد كتوم
ولا يحزنها حنانٌ باهت..
..
في كل مرّة تنام امرأة باكية..
تنسى غيوم مدينة بأكملها أغنية المطر
..

أُخبّئُ ابتسامتي لمدةٍ طويلة قبل اللقاء..
هذه طريقتي للحفاظ على دهشة عينيك
..
وحين يطوق ذراعك عنقي..
أود لو أرفع شعري عالياً
كأن كل الكون تحته
..
لم أشعر بأني شطران
إلا حين أخذني عناقك
التحم نصفي الأيمن بالأيسر
وعدتُ.. حورية بحر

واحة الفكر

الماركسية: علم أم فلسفة؟

«مقتطفات من كتاب «تقديم الفلسفة للا-فلاسفة» لوي آلتوسير

ترجمة وإعداد: هشام عقيل

لنتحدث عن المسألة المثيرة للجدل حول «الفلسفة الماركسية»، ومدى إمكانية وجود فلسفة ماركسية. أهمل ماركس ولينين هذه المسألة؛ ولكن صمتهما كان بحد ذاته جواباً، بما أنهما أصرّا إصراراً شديداً على العلم الماركسي لقوانين الصراع الطبقي وفي مثل الوقت على فلسفة جديدة دفعت للظهور بفعل هذا العلم بحد ذاته. ظهرت مختلف التفسيرات، بعد ماركس ولينين، وبمختلف التلاوين. يرى التحريفيون، أمثال بيرنشتاين، أن ماركس قد أكتشف علماً قادراً على التكيف مع أي فلسفة، وتلك منها الأكثر فعالية ستكون الأفضل (فلسفة كانط على سبيل المثال). أما لوكاش الشاب فأنه يرى أن ماركس قد أكتشف فلسفة هضمت، عن طريق هيغل، علماً سمي خطأ بعلم التاريخ. بينما أرغم لابريولا وغرامشي أن يتبنيا تلك الآراء، بما أنهما كانا في تلك الفترة يمثلان وجهة نظر مضادة لإقتصادوية الأممية الثانية. ستالين أيضاً جعل، بطريقته الدوغمائية، من الفلسفة علماً متضمناً في النظرية الماركسية للتاريخ.

كل هذه التفسيرات، حتى الأكثر رصانة منها (مثل تفسيرات غرامشي)، وجدت إلهامها في النموذج القائم للفلسفة البورجوازية – عبر الفكرة القائلة بأنه يمكن للفلسفة أن توجد فقط في أشكال معينة، وبالتحديد في شكل نسق أو «معنى»، يتضمن وضم كل الموجودات ويحدد لها مكانها، ومعناها، وغايتها. وفي أفضل الحالات: توجد في شكل «نظرية ما» مختلفة عن العلم. أعترفُ، في حالتي أنا، لم أتمكن من تحرير نفسي من هذا المفهوم، بل في مقالاتي الفلسفية الأولى بنيت تفسيري للفلسفة على العلم، ورغم أنني لم أمزج بينهما إلا أنني تطرفت قائلاً أن ماركس قد أنتج، في شكل "إنقطاعين"، علماً (المادية التاريخية) وفلسفة (المادية الديالكتيكية). الآن أعتقد علينا التخلي عن تعبيرات من هذا النوع، حيث بإمكانها أن تضللنا.

فرغم أن كل علم يظهر بفعل «إنقطاع» معين، بما أن عليه «تغيير أرضيته» عبر التخلي عن الأرضية القديمة لمفاهيم – وهي أيديولوجية على الأغلب – ما قبل علمية، من أجل تقديم أسس نظرية جديدة، إلا أن الفلسفة الجديدة لا تنتج بمثل هذه الطريقة. فإنها لا تخضع لمبدأ اللاإستمرارية، بما أنها تحدث في إستمرارية صراع قديم منذ الأزل يضع الخصوم في المواجهة، حيث أفكارهم قد تتعارض، ولكن أهدافهم تبقى هي هي رغم الإختلافات في مختلف اللحظات الراهنة.

إذا أرادت فلسفة جديدة أن تمثل المفهوم الكوني للطبقة الثورية، مفهومٌ عائد لطبقة تطمح (بما أنها لا تستغل أية طبقة أخرى) لإزالة كل الطبقات، فإن عليها أن تتعارك في ساحة المعركة الفلسفية الموجودة فعلاً، وعليها أن تقبل قواعد المعركة؛ أو إلا سيكون عليها أن تفرض قواعدها الخاصة، ولكن عليها أن تقوم بذلك في مثل ساحة المعركة من دون أن تخطىء في تحديد عدوها. وعبر فرضها قواعدها الخاصة للمعركة يمكنها أن تشتت عدوها عبر رفضها لأغلب القواعد القائمة؛ مثل تلك العائدة لحقيقة المعنى، والغاية، والغائية إلخ. بإختصار: عليها تأخذ المبادرة وتفرض ممارسة جديدة للفلسفة على عدوها.

فإذا وضعت المسألة هكذا، فسيكون من الأفضل لو تحدثتُ عن «الموقع الماركسي في الفلسفة»، أو «ممارسة ماركسية جديدة للفلسفة» بدلاً من «الفلسفة الماركسية». يبدو لي أن هذا التعريف يبقي على إنطلاقة ثورة فلسفية التي أحدثها ماركس بالإضافة إلى إنطلاقة ممارسته وممارسة أتباعه الفلسفية والسياسية. إذا تمّ أخذ هذا التعريف بجدية، فإذن ذلك سيجعله من الممكن البدء بالأزمة الحقيقية التي ظهرت منذ الأممية الثانية وستالين.

أيمكنني أن أوضح نقطة إضافية؟ لن أقوم بوصف الماركسية كفلسفة البراكسيس، كما قام غرامشي الذي ربما قد فعل ذلك تحت ضغط رقابة السجن. هذا ليس لأنني أعتبر فكرة البراكسيس (تحوّل الذات عبر الذات) فكرة خارجة عن الماركسية، بل على العكس: لأن هذه الصيغة قد تجذبنا نحو الشكل المثالي القديم لـ : «فلسفة .. [كذا وكذا» الذي يجعل من تحديد معين، وفي هذه الحالة: البراكسيس، جوهراً أو «معنى» جامعاً لكل الأشياء. صيغة كهذه قد تؤدي إلى تفسير مثالي للموقع الماركسي في الفلسفة، عبر العودة إلى كانط أو هوسرل مثلاً (ورأينا ذلك في إيطاليا، عند إينزو باتشي).

... يقف عائق مثالي كبير آخر في وجه هذه «الممارسة الجديدة للفلسفة» المتأسسة على مواقع فلسفية بروليتارية في النظرية. هذا العائق يكمن في التفرقة المثالية القديمة ما بين النظرية (أو العلم) والمنهج. تأتي هذه التفرقة من الممارسة العلمية العلمية أساساً. فحلما يتوصل العالم إلى جسم المعرفة الموضوعية سيكون بإمكانه توحيد هذا الجسم في نظرية ما، فإنه مارس تجاربه عبر «إدراك» هذه النظرية، سواءاً بشكل كلي أم جزئي، في تجهيز عملي يضع موضوعه «في موضع السؤال» (كانط)، وليقوم بذلك فأنه «يطبق» نظريته؛ وحالما تطبق فإنها تصبح منهجاً علمياً.

ترجم سبينوزا هذه الممارسة بكلمات مادية حين قال أن المنهج هو لا أكثر من «فكرة الفكرة»، أيّ تفكير وتطبيق، في التجربة الجديدة، لمعرفة ملموسة تم إكتسابها فعلاً. بذلك، لا يضيف المنهج شيئاً للمعرفة الملموسة التي تم التوصل إليها بالفعل، إنه ليس حقيقة تتجاوز هذه المعرفة وتجعل من الممكن الوصول إلى المعرفة عبر صيغ سحرية.

ولكن استغلت الفلسفة المثالية، بطبيعة الحال، هذه التفرقة ما بين النظرية والمنهج، عبر تأكيدها وتشديدها على الإختلاف بينهما، وأصرت على إعتبار المنهج كحقيقة سابقة على كل الحقائق، قادرة على إكتشاف كل حقيقة جديدة. هكذا، يرى ديكارت المنهج كشيء سابق على الحقيقة رغم أنه إنعكاس لها، بما إن ترتيب «البحث عن الحقيقة» يسبق ترتيب عرضه. علينا أن نتخلى، في هذا المفهوم، عن النظرة التي تقول بأن سيرورة إنتاج المعرفة مجردة كلياً عن شروطها التاريخية المسبقة، حيث أنها تلمح بأن نتيجة التاريخ السابق للتجربة يوجد كمعطى مطلق ويمكن للمرء أن يطبقه على أي موضوع كان من أجل إستخراج معرفة ما منه. هذا هو تصغير العالم إلى مستوى طفل ما الذي، مع القواعد البحث التي تسلمها من قبل شخص بالغ، يصبح مندهشاً عنما يراها تولد له نتائجاً معينة. أنتقد لايبنتز المفهوم الديكارتي للمنهج قائلاً: «خذ ما عليك أخذه، وتصرف كما عليك أن تتصرف، وستحصل على النتيجة التي ترمي إليها)). بإختصار، أنه فعل سحري.

ورث ماركس وإنغلز، للأسف الشديد، هذه التفرقة وهذا الوصف الخيالي لمفهوم المنهج. وليفكرا علاقتهما الخاصة بهيغل استخدما صيغة غير موفقة: المحتوى عند هيغل هو رجعي، ولكن منهجه كان ثورياً؛ هذا المنهج هو الديالكتيك. طور إنغلز هذه التفرقة في (ديالكتيك الطبيعة) حين قال أن في «الفلسفة» الجديدة ستكون المادية (أو نظرية المادة وخصائصها)، هي النظرية بينما سيكون الديالكتيك هو المنهج.

التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي

التقدمي العدد 152 ـ يوليو 2020 السنة الثامنة عشر SDPA 499

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

صورة من الأعلى لمدينة حزينة

جعفر الديري

نص: جعفر الديري

للمدينةِ أبوابُها..
مُثقلاتٍ بحَملِ الحجرْ
غيرَ أنَّ نوافذها مُولعاتٍ بضوءِ القمرْ
غيرَ أنَّ مسَاكِنها تتمايلُ فيْ قبضةِ الريحِ..
مشدودةٌ للصَّخَرْ
المدينةُ تقبسُ ألوانَها من قبورِ الجُدودْ
تُرسِل الآنساتِ ضَحايا..
على زورقٍ من ورقْ
المدينة تشخصُ نحوَ السَّحابةِ..
تسألُ أيَّ طريقٍ سيُوصِلُها لمرافِيء أبنائِهاْ
إنَّها تتعكَّز فوقَ يدِ الموتِ..
لا تتبيَّنْ عُروقا لِمنْ ولجُوا حُلمَهاْ
لم تزلْ في شقوقِ المسَافةِ تدْفنُ أسْرارَهَاْ
قيل أنَّ غريباً..
أطالَ المُكوثَ بداخِلِ أصدافِهَاْ
نثرَ الدَّاء في عَينهاْ
ثُمَّ فِيْ وِحشةِ الليلِ..
أطبَقَ أجفانهَاْ
قيل أنَّ ثلاثينَ رُوحاً..
نزَلنَ إلى الأسطُحِ العَارياتْ
رُحْنَ يُدلينَ بدراً من الأنجُمِ الشَّاكِيَاتْ
ثمَّ أرْسلنَ لحناً..
إلى دندَناتِ الوترْ
المدينةُ كانتْ تُراقبُ حَبلاً..
يشاكِسُها من بعيدْ
يتمايُل مِثلَ الحَمامَةِ..
ترقُصُ عِندَ الشجرْ
المدينةُ راحَتْ تُرمِّم أُثوابَها البَاليةْ
جَمعَتْ مِن بنَاتِ الطريقِ..
أساوِرَها الغَاليةْ
أسرَعَت كَيْ تقايضَهَا
بالرَّؤى الحَاليَةْ
كانَ صَقرٌ يراقِبُهاْ
سَرقَ الحُلم منهَا وألقاهُ..
في ضِفَّة المنحدر.

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com